دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أيديولوجية العنف السياسي : تحليل مضمون الخطاب الجهادي والرد عليه (مرجعية الأفكار)
المصدر:	دراسات مستقبلية
الناشر:	جامعة أسيوط - مركز دراسات المستقبل
المؤلف الرئيسي:	حسن، حسن بكر أحمد
المجلد/العدد:	س 2, ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1997
الشهر:	يوليو
الصفحات:	173 - 222
رقم MD:	42267
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	العنف السياسي، السياسة، الجماعات الإسلامية، الفتاوى الشرعية، الإرهاب، الجهاد، آيات القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/42267

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مجلة "دراسات مستقبلية" ، العدد الثالث (يوليو ١٩٩٧م)
مركز دراسات المستقبل – جامعة أسيوط – ج . م . ع

أيديولوجية العنف السياسى :
تحليل مضمون الخطاب الجهادى والرد عليه
(مرجعية الأفكار)

د. حسن بكر أحمد حسن*

تحليل مضمون الخطاب الجهادى (مرجعية الأفكار Realities index)

المقصود بالخطاب الإسلامى هنا : كل رسالة اتصالية صدرت عن الجماعات الإسلامية التى تسعى لتغيير نظام الحكم بالقوة المسلحة وما تتناوله هذه الرسالة من نظرة شمولية إلى المجتمع وفق أصول فقهية معينة . وسيكون التركيز هنا على جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية باعتبارهما محور الحركة الإسلامية فى الثمانينيات والتسعينيات لمعرفة جذور العنف وأسبابه .

وسوف يتبع الباحث فى هذا الجزء من بحثه طريقتين تنتميان إلى مدرسة واحدة فى علم السياسة هى مدرسة تحليل المضمون كأداة لتحليل العناصر التى ينقسم إليها الخطاب السياسى ، ثم تحويلها إلى مقادير كمية لدراسة التركيز والاهتمام وتوزيع الأفكار وأولويات ترتيبها وتنفيذها . ولذا يجب أولاً : تحليل المضمون الكيفى للخطاب الإسلامى ، ثم ثانياً : تحليل المضمون الكمى لهذا الخطاب.

---

* أستاذ مشارك بقسم العلوم السياسية – كلية التجارة – جامعة أسيوط

المطلب الأول

تحليل المضمون الكيفى للخطاب الإسلامى الجهادى

ونقصد هنا بذلك : استخدام النطق والترتيب العقلى فى دراسة النص أو النصوص التى أصدرتها جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية ، مع ضرورة مراعاة التمييز بينهما – وليس الاختلاف – بحكم الجغرافيا السياسية لوجودهما وتوزيع القيادة والمستوى الحركى . ويقصد بالتحليل الكيفى : تقطيع الموضوع إلى عناصر متسلسلة تسلسلاً منطقياً عقلانياً لإيجاد العلاقة بين البناء النظرى للخطاب المرسل والواقع الاجتماعى . ومن خلال النقد الموضوعى يمكننا اكتشاف التعبيرات الخفية الكامنة فى النصوص وتوضيح مدلولاتها السياسية والاجتماعية [1] سواء على الصعيد المحلى أو الإقليمى أو الدولى . ومن ثم يقوم المنهج كلية على الاستنباط من الكل إلى الجزء بشكل منطقى ومرجعى فى آن واحد .

١ – فكر تنظيم الجهاد :

الجهاد فى الفكر السياسى الغربى يعنى : "القتال فى حرب مقدسة" "Fighting a holy war" ، وهو ما يختلف شكلياً وجوهرياً هنا عن مفهوم الجهاد لدى التنظيم المعروف بنفس الاسم والذى حمل المسئولية كاملة عن اغتيال الرئيس أنور السادات . فالجهاد هنا يعنى النضال (المكابدة) من أجل إقامة الدولة الإسلامية "دولة الخلافة" على نهج "القرآن والسنة" ، وذلك بوجود النواة ، وهى : الدولة الاسلامية فى مصر . وقد أسس محمد عبد السلام فرج تنظيم الجهاد عام ١٩٨٠ بهدف خلق هذه النواة فى مصر (كنانة الله فى أرضه) كدولة مركزية تنتشر منها الفكرة الجهادية إلى كل عموم الأرض مكونة الخلافة الإسلامية . وكان تنظيم الجهاد تنظيماً سرياً مسلحاً على مستوى مصر كلها يهدف إلى قلب نظام الحكم القائم فى البلاد وإقامة دولة إسلامية من خلال اغتيال رئيس الجمهورية وبعض القيادات السياسية والاستيلاء على غرفة عمليات القيادة العامة بوزارة الدفاع ومبنى الإذاعة والتليفزيون ، وإذاعة بيان باسم الثورة الإسلامية، وتحريك عناصر الوجه القبلى للسيطرة على مدينة أسيوط (معقل الجماعة الإسلامية

الجهادية) ، والتحرك إلى القاهرة ليلتحقوا مع الثورة الموجودة هناك (والتى يقودها محمد عبد السلام فرج أمير التنظيم ومعه عبود الزمر القائد الحركى) مع مجموعات القاهرة والجيزة للاستيلاء على المراكز الحيوية ، ثم استنفار المسلمين للجهاد ومساندة الثورة من خلال الإذاعة والتليفزيون [٢] . وفى الحقيقة نجح محمد عبد السلام فرج وعبود الزمر فى تجنيد خالد الإسلامبولى ورفاقه لاغتيال السادات يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، ولم ينجحوا فى الشق الثانى أيضا وهو الانهيار المؤسسى ، ونجح رفاقهم يوم ٨ اكتوبر ١٩٨١ فى الاستيلاء على مديرية أمن أسيوط لساعات ، ولم ينجحوا فى الشق الثانى أيضا وهو انهيار النظام وإقامة الدولة الإسلامية . وقد تم كل ذلك عام ١٩٨١ وبعده وفق الخطوط العريضة لفكر الجهاد الذى وضع أسسه محمد عبد السلام فرج (المهندس بإدارة جامعة القاهرة) وطوره من بعده عبود الزمر فى عدة وثائق سيرد ذكرها فيما يعد ، وهذه الخطوط هى :

١- ضرورة الالتزام بالإسلام كأساس عقيدى فى أركانه الخمسة ، ولكن ذلك لا يكفى إذا وقعت الأمة تحت حكم فاسد تحيد منه عن الصراط المستقيم وهو شرع الله . ومن ثم وجب تطبيق الفريضة الغائبة وهى الفريضة "السادسة" أى الركن السادس "الجهاد" ومن هنا جاء اسم التنظيم .

٢- ضرورة إقامة دولة إسلامية على نهج الخلافة الراشدة "أى : على أسس القرآن والسنة " . وهذا هو هدف تنظيم الجهاد .

٣- إن الحكم فى البلاد الإسلامية - تماماً - كما كان أيام سيطرة التتار على العالم الإسلامى ، وقد وقع فى يد حكام سفهاء ومرتدين عن الإسلام يزعمون أنهم مسلمون وهم مسلمون فقط بالاسم ، ولذا وجب قتالهم واستئصال شافتهم وقتال من معهم ، وكل يبعث على نيته يوم القيامة .

٤- إن مصر هى نقطة البداية فى إقامة الخلافة (ومعها باكستان) فى خطة تستهدف بلدان العالم الإسلامى المترامى لإقامة خلافة جديدة وقوية .

٥- إن الأمة الإسلامية مستضعفة ، وحكام بلادها عملاء للاستعمار الغربى بأشكاله المسيحية والشيوعية والصهيونية والماسونية ... ألخ ، وبالتالى فإن القوانين

التى تحكم المسلمين هى قوانين كافرة ، أى أحكام الكفر ، وهنا تسود حالة الفساد بين المسلمين الذين يعيشون فى دار الحرب ومن واجب كل مسلم الجهاد لإرجاعهم إلى دار السلم .

٦- الخيرية على الأمم الأخرى : فكرامة الإنسان المسلم تقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو ما يجعل الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس . وكان الإحساس الناتج بالتفوق والشعور بالاختيار لأداء المهمة متناسباً مباشرة مع الالتزام بطريق العمل الجهادى ، ومن ثم الحصول على الثواب الموعود وهو إن تحقق فهو ثواب فى الدنيا باحترام الذات والوجود فى مجتمع وشعب أفضل من الآخرين وفى الآخرة هو ثواب الجهاد فى سبيل الله .

٧- فى القضايا الخارجية وفى علاقة مصر بالعالم نظر تنظيم الجهاد إلى موقف السادات من الثورة الإيرانية - رغم وجود خلافات عقيدية وحركية معها - بأنه موقف فاشل ومتواطىء بسبب عمالته للغرب الذى رفض استقبال الشاه . وكان هذا الحدث - كما أسلفنا - نقطة النهاية فى ارتباط الحركات الإسلامية السابقة على الجهاد مع نظام السادات . كذلك هاجم التنظيم معاهدة السلام مع إسرائيل ، ويعتبر التنظيم الصراع مع إسرائيل ليس صراعاً قومياً أو مرحلياً ، بل صراعاً عقيدياً وممتداً ، ويعتبرون الحرب أصلاً مع اليهود أعداء الله . وهنا يتم تنحية فكرة أن اليهود من أهل الكتاب ؛ فدولة الخلافة لم تظهر إلى الوجود بعد ، والعالم يعيش عصر الجاهلية الثانية. أما المسيحيون فليسوا من أهل الكتاب أيضاً ولا إخواناً فى الوطن والمصير ، بل هم امتداد للمؤامرة الصليبية التاريخية على الإسلام [٣] .

وبعد مقتل الرئيس السادات مباشرة سئل خالد الإسلامبولى عن دوافعه ، وهذا مسجل فى ملفات القضية ، فقال إنه فعل ذلك لأنه لم يطبق شريعة الله ، وإنه أقام صلحاً مع اليهود أعداء الله ، وأنه اعتقل علماء المسلمين وأهانهم دون مبرر.

٨- فى شأن العلاقة مع الغرب ، فجماعة الجهاد تنظر إلى الغرب على أنه الجاهلية الحديثة والكفر والمادية الجامحة والأيديولوجية الآثمة . أما شعاراتها فهى زائفة

كحقوق الإنسان والسلام العالمى والحرية والأخاء والمساواة . والأمم المتحدة إن هى إلا إفراز لهذه الجاهلية الحديثة . كما يتّهم تنظيم الجهاد الغرب بأنه وراء سعى النظام المصرى لتصفية الحركة الإسلامية . على أن قطاعاً مستنيراً من الجهاد ، مثل كمال السعيد حبيب ، ينظر إلى الحضارة الغربية "بأن المسلمين " صانعو جزء منها ، بل لولا نحن ما كانت هذه الحضارة المادية ، فالمنهج الإلهى هو الذى يحمى هذه المادة بالأخلاق الإلهية التى لا صلاح للعالم إلا بالعودة إليها"(٤)

٢- فكر الجماعة الإسلامية:

تستلهم الجماعة الإسلامية فكر الجهاد وتتميز عنه فى القيادة والحركة والموقع الجغرافى ، وما يهم فى هذا المقام موضوع البحث وهو أسيوط فإن الجماعة هى القوة الضاربة (رقم واحد) فى مواجهة النظام السياسى فى تلك المحافظة العنيفة ، التى تصدر دائماً إلى مصر : العنف ، ووزراء الداخلية ، وكافة أنواع الأسلحة . ومعروف أن تنظيم الجهاد عام ١٩٨٠ - كما أسلفنا - ضم من الوجه البحرى فى مجلس شورى التنظيم محمد عبد السلام فرج وعبود الزمر فقط من القاهرة والجيزة ، بينما ضم ٩ أعضاء من الصعيد ، وكانت أسيوط هى القوة الضاربة : كرم زهدى مسئول الاتصال بين القاهرة والوجه القبلى ، ثم ناجح إبراهيم عبد الله وعاصم عبد الماجد وأسامة حافظ لأسيوط ، فؤاد حنفى ، عصام الدين ذربالة عن المنيا ، حمدى عبد الرحمن عن سوهاج ، على الشريف وطلعت فؤاد قاسم عن نجع حمادى وقنا . وقد سبق الحديث عن الاختلاف ليس فى العقيدة بل فى الأسلوب والعلانية بين الجماعة والتنظيم الأم ، والمهم هنا بحث فكر الجماعة الإسلامية لأنه لا يختلف كثيراً فى الأصول ، ولكنه يختلف فى الفروع والممارسة . وسيقوم الباحث هنا بترتيب أفكار الجماعة الإسلامية حسبما وردت فى أدبياتها وبالذات "ميثاق العمل الإسلامى " ، ترتيباً منطقياً متسلسلاً علماً بأن هناك وثائق أخرى للجماعة - سيرد ذكرها فيما بعد - تكمل جوانب الإطار الفكرى لها . يرى ميثاق العمل الإسلامى أو (مينفستو الجماعة الإسلامية) أن المجتمع المصرى يعيش فى زمن الصحوة الإسلامية التى يقودها الشباب المتدين منذ

السبعينيات فى مصر من أقصاها إلى أقصاها ، وأنهم يخوضون معركة طاحنة ضد المارد الجاهلى ، وهنا يقصدون بالمارد الجاهلى "الدولة أو النظام الحاكم " وفى ذلك يقول الميثاق :

"... إننا نعيش الصحوة الإسلامية المباركة التى قادها الشباب المسلم فى السبعينيات فى جامعات مصر ومدنها وقراها ... إننا خضنا مع الطليعة المقاتلة المواجهة التى عمت بين الصحوة الإسلامية ممثلة فى شباب الجماعة الإسلامية وبين المازد الجاهلى ... " (٥) .

ويذهب ميثاق العمل الإسلامى إلى أنه - حرصاً على العمل الإسلامى أن يخوضه الشباب بغير وضوح ، وحتى لا تنجذب الحركة الإسلامية بعيداً عن أهدافها - كان لابد من تجميع هؤلاء الشباب فى حركة إسلامية واحدة ، والحقيقة أن هذه الحركة لن تولد ما دام المسلمون يعملون فى فرق متبعثرة ، وأن ولادة هذه الحركة الإسلامية الواحدة تتطلب تجميع القوى لاستنفارها ، وحتى يتم ذلك لابد من الإجابة عما يلى :

١. ما هى غايتنا التى نسعى إليها ؟
٢. ماهى عقيدتنا التى ندين بها ؟
٣. ما هو مفهومنا الذى نتحرك من خلاله ؟
٤. ما هى أهدافنا ؟
٥. ما هو طريقنا لتحقيق هذه الأهداف ؟
٦. ما هو زادنا ؟
٧. لمن يكون ولاؤنا ، ومن نعادى ؟
٨. على ماذا نجتمع ؟

والواقع أن ميثاق العمل الإسلامى يرد على كل هذه التساؤلات ، ويوضح الملامح الشرعية والفكرية التى على الجماعة الإسلامية أن تلتزم بها . وبهذا يكون الميثاق هو الخط الفكرى لخلاصة التجربة التى عاشتها الجماعة الاسلامية فى ضوء المواجهة التى خاضت غمارها ضد الدولة وما زالت أو بحسب تعبير الميثاق ضد "أعداء الدين" ويسقط فيها القتلى من الجانبين دون علم ولا هدى ولا كتاب منير .

أ- غاية الجماعة الإسلامية :

"رضا الله تبارك وتعالى بتجريد الإخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم" . يرى ميثاق العمل الإسلامى أن رضا الله تعالى أعلى واسمى من كل نعيم حتى ولو كان هذا النعيم متمثلاً فى وعد الله بالجنة ، وهم فى ذلك يتبعون أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن رضا الله تعالى غاية تتصاغر أمامها ، بل تتلاشى معها الغايات ، فمن وجد رضى الله وجد كل شىء ، وأنهم فى ذلك يرجون رضا الله طمعاً فى أن يدخلوا - يوم القيامة - فى عباده الصالحين (يا عبادِ لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) [٦] . ويرى ميثاق العمل الاسلامى [٧] أن ما أصاب المسلمين اليوم من تدهور وذلة ومسكنة وتدنٍ لا يرجع إلى أى شئ ، إلا لبعد المسلمين عن طاعة الله فلا نظام دولى أونظام تجارى غير متكافئ ، ولا طبقات حاكمة مستغلة ، هو الذى جعل المسلمين فى مرتبة متدنية ، ولكن وضع المسلمين فى هذه المنزلة ليس سوى بعدهم عن الله وإعراضهم عن تطبيق شرعه ، وهم فى ذلك يرون " .. أن الامر خطير لأن ترك المسلمين لغايتهم التى ما خلقوا إلا لها ، وإعراضهم عنها لا يعنى فقط أنهم سيعيشون فى ذلة فوق سطح الأرض ، كما هو حادث اليوم ، أى أنهم سوف يعبرون إلى خطر عظيم يوم القيامة، كلٌ بحسب اعراضه وبعده .." [٨]

إن رضا الله تعالى ليس له معنى إلا عدم اختيار سخط الله تعالى ، وليضحك الناس على أنفسهم وليسموا غاياتهم الباطلة أى تسمية عصرية تحلو لهم ، فهى بأى حال لن تعدو أن تكون سخطاً من الله تعالى ، فليسم هذا الاشتراكية وليلبسها نور الديمقراطية وليخلع عليها اسم الرأسمالية أو القومية العربية أو ينادى عليها بالعلمانية [٩] ، إن كل الدعاوى فى نظر الجماعة الاسلامية أو الاختيارات هى بعد عن الله وبعد عن الحق وهى دعاوى واختيارات باطلة .. ما داموا قد تركوا الحق . (فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) [١٠] .

والمدقق فى تصورات هذا الميثاق ، يجد أنه لا يفرق بين تكوين اجتماعى واقتصادى أو اختيار أيديولوجى أو نظام اجتماعى ، فهو يسوى بين الديمقراطية

والرأسمالية والاشتراكية والقومية والعلمانية وغيرها ، مثلا ، دون الوقوف على المعنى العلمى أو حتى الاصطلاحى لهذه الأشياء .

ويطلق الميثاق تحذيراته ، فيرى أن العودة عن هذه الأشياء جميعاً هو الذى جعل رضى الله يلف المسلمين وينقذهم من التدنى والسحق ، وأن هذه العودة يلزمها شيئان: أولاً : الإخلاص لله ، وثانياً : متابعة النبى فى العمل . وتؤكد الجماعة الإسلامية من خلال ميثاقها على ان الطرق كلها مسدودة على الخَلْق ، إلا أن يُقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وتُتَبع سنته وتُلزم طريقه ، إن تحقيق المتابعة هو الضمان الوحيد للاستقامة والنجاة من سبيل الضلال (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) [١١] . إن ضياع المسلمين من وجهة نظر الميثاق وتدنى أحوالهم يرجع فى الدرجة الاولى إلى البعد عن فلك الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم : عدم متابعة آثاره وتبنى مناهج ونظريات أرضية [١٢] .

ب- عقيدة الجماعة الإسلامية :

يوضح ميثاق العمل الإسلامى أن العقيدة ليست ادعاء يُدَّعى ، كما أنها ليست مجموعة من القضايا الكلامية أو ادعاءات ترددها الألسن أو تجويها المجلدات ، وإنما هى يقين يستقر فى القلوب ، إنها إلحاح العمل الصالح المقترن بالإيمان فى القرآن ، كما أن للعقيدة أثراً مادياً لابد من ظهوره حالياً ليبرهن على صدق دعاوى الإيمان وإلا فهى دعوة لا دليل على صحتها أو صدقها .

ويرى الميثاق أيضا أنها نوع من الإخلاص ، كما أنها فى الوقت نفسه ضد الرياء ، لأن المسلم مأمور أن يخلص فى كل عمل إلى الله ، كما فى المقابل عليه أن يتخلص من كل صور الرياء ، ويخطئ من يترك العمل الصالح مخافة الرياء ، بل عليه أن يعمل ويخلص (فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) [١٣] ، فالإخلاص ضرورى ومطلوب لكل نفس حتى تتخلص من ذاتيتها وهواها ، وحتى يصير مرادها هو ما أراد

الله لها . إن الإخلاص وفقا لذلك يعد أحد شروط قبول العمل ، لأن الشرط الثانى يتمثل فى اقتفاء أثر النبى ومتابعته .

إن الجماعة الإسلامية ، ومن خلال خطها الفكرى تلخص عقيدتها فى ضرورة الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح والالتزام بما شرع الله ، وأنهم يرون ما هو حادث اليوم من موالاة الحكام للشرق والغرب والولاء لهم يدخل فى باب الكفر ، كما أن الولاء والحب للنصارى واليهود والعداء والحرب للمسلمين وتبديل الحكام لشرع الله كل ذلك يدخل فى باب عدم الإخلاص لله ورسوله .

إن صور عدم الإخلاص تتجلى اليوم فى مناظر شتى ، لعل أهمها من وجهة نظر الميثاق خلع لقب الخليفة والحاكم بأمر الله على الحكم بغير شرع الله ، تلك التى تتمظهر فى صور الخروج عن شرع الله ، مثل ظهور ما يسمى بالعلمانية والطرق الصوفية ، إن كل ذلك يدل على ما يسمى بالضلالات والبدع . ولما كانت هذه الجماعة تبرأ إلى الله من كل بدعة تخالف عقيدة السلف الصالح ، فإن عقيدتهم تتلخص فيما يلى :

١. الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان ، وهو يزيد وينقص : يقل بالمعصية ، ويزيد بالطاعة .

٢. إن الله هو المستحق بالعبودية والخوف والرجاء والذكر والدعاء والحب والاستعانة والتفرغ والخضوع والإنابة .

٣. لا نتبرك بشجر ولا طير ولا حجر ولا نتوسل إلى الله تعالى إلا باسم من أسمائه أو صفة من صفاته أو بعمل صالح عملنا أو بدعاء رجل صالح حى ولا نطوق بطير ولا نذبح لحجر ولا ولى ولا ننذر لأحد من الخلق ، ومن فعل شيئاً من ذلك فقد أتى فعلاً من أفعال الشرك .

٤. لا نرضى بغير الله حَكَماً ومشرعا ، كما لا نقر بغيره ربا ، فمن خلق يملك ، ومن ملك يحكم وينهى ويأمر ويقضى ويشرع ، فهو عليم بما يصلح .

إن العقيدة – وفق ما جاء به من ميثاق العمل الإسلامى – تجعل الالتزام به من متطلبات الإيمان وعلامات صدقه ، أى أن العقيدة هنا هى رد كل شئ إلى الله ، انطلاقاً من قول الله تعالى : (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً) (١٤) . نفهم من ذلك أن ميثاق العمل الإسلامى ضد كل ما هو أرضى وكل ما يأتى من بشر ، وهم فى ذلك يرون أن ثمة فارقاً كبيراً بين ما يأتى من الله ورسوله وبين أى منهج أو نظرية أرضية ، إن هذا الامر من وجهة نظرهم هو الذى يُخرج المسلمين من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة وعظمتها .

ج- فهم الجماعة الإسلامية :

إن الفهم من خلال ميثاق العمل الإسلامى يتحدد بالأساس فى ضرورة فهم الإسلام بشموله ، كما فهمه علماء الأمة التقاة المتبعون لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين رضى الله عنهم ، ووفقاً لهذا التعريف يرسم الخط الفكرى (الميثاق) للجماعة الإسلامية الفهم وفق الأمور التالية :

١. إن مفهوم الاسلام وفهمه تغير تغيراً شديداً ، فقد أضحى وكأنه قطعة صلصال تدور بين الأيدى ، وكلما تلقفتها يد سارعت بتغيير شكلها وصيغتها .

٢. لقد صار من الطبيعى أن تسمع عن "مسلم اشتراكى" وآخر رأسمالى تقدمى وليبرالى وعلمانى وآخر لا تروقه بعض الأحكام التى جاء بها الإسلام وضاعت صيغة الإسلام ، التى أرادها الله لهذا الدين ، هذا وقد عاد الإسلام غريباً (كما جاء غريباً).

٣. لقد امتدت أيدى الأعداء مشوهة لهذا الدين فى عقول المسلمين مزعزعة لثقتهم به هادفة من وراء ذلك إلى صرف المسلمين عن دينهم وتضليلهم .

٤. ان الإسلام هو الاستسلام والخضوع والانقياد طوعاً لله رب العالمين باتباع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من أوامر أو نواهٍ وحدود وقواعد تنظم حياة

الناس وتنظم كل ما يلزم للبشر فى كل مكان مما يكفل لهم تحقيق خيرى الدنيا والآخرة .

٥. إن فهم الدين لابد أن ينطلق من أن الإسلام ينظم داخل منهجه كل ما تحتاجه البشرية باعتبار أنه دين شامل كامل ، وأنه بنيان متماسك ومتناسق مختلف عن كل ما هو أرضى .

لهذه الأسباب وذلك الفهم ، فهم يرون ضرورة دعوة الإسلام لكل الناس : للكافر كى يسلم ، والعاصى كى يتوب ، الأمر الذى يجعلهم ينطلقون من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإلى الجهاد حتى تزول دولة الشرك [١٥] .

وتقوم خلافتهم على الحكم بشرع الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأسيساً على الطريق السابق ، فإن ميثاق العمل الإسلامى أو أيديولوجية الجماعة الإسلامية ترى أنه نتيجة لبعد دولة الشرك عن حدود الله والعمل بما هو أرضىٰ ، فإنهم يديرون معركتهم مع "الجاهلية" ، وأن هذه المعركة لن يكتب لها النصر إلا باتباع السلف الصالح ، ذلك الاتباع الذى يعد صمام الأمان من الزيغ والضلال [١٦] .

د- هدف الجماعة الإسلامية :

إن هدف الجماعة الإسلامية يتحدد بالأساس فيما أمر به الشرع سبحانه وتعالى "(أن أقيموا الدين) [١٧] ، ذلك الهدف الذى يتمثل فى إقامة الدين كله فوق كل شبر من الأرض ، وفى كل مجتمع . إن دعوتهم ليس لها حدود أو أوطان، كما أن إقامة الدين من خلال هذه الجماعة يتمثل فى تحقيق أمرين : الأول هو : تعبيد الناس لربهم ، أما الآخر: فيكون بإقامة خلافة على نهج النبوة .

إن إقامة الدين من خلال هذه الدعوة يأتى بحسبان الخلق عبيداً لله ، وأن الأرض ملك لله تعالى ، لذا فإن الناس مطالبون بالدخول فى دين الله ، ومن ثم وجب القضاء على النظام الحاكم المهيمن الذى لا يعمل بدين الله ، والذى هو بالتالى غير اسلامى ويتحاكم بغير الدين . ان هذه الانظمة والحكومات ما هى الا أنظمة كافرة وجاهلة وساقطة الشرعية ، لذا وجب ان تقوم خلافتنا لتخليص البشرية من صور الظلم والفقر.

والواقع أن آليات هذه الجماعة تتمثل فى ثلاث صور رئيسية : الدعوة ، والحسبة ، والجهاد [١٨] .

هـ- طريق الجماعة الإسلامية :

يرسم ميثاق العمل الاسلامى طريق الجماعة الإسلامية ، فيرى أن فهم الإسلام بشموله ، يعد المقدمة الضرورية للعمل بشمول دون انتقاص ، إذ أن فهم الإسلام فهما خاطئا سوف يؤدى حتما فى طور العمل إلى حركة قاصرة تجعل من الإسلام حركة متعدية تخرج عن الحدود وتمضى وفق الهوى وتخوض غمار مجالات لم يشرعها الله، وفى معرض الحديث عن الطريق الذى يجب على الحركة الإسلامية أن تسلكه للتعامل مع الواقع حولها ، تقول "..." إننا من خلال سعينا للإسلام سنجد أن هناك من يتفق معنا عقيدة وفهماً وغاية وهدفا ، فنسارع لنمد يدنا لنعمل سويا فى جماعة واحدة ، وسنجد أيضا من يترك المعروف أو يأتى بالمنكر فعلينا رده إلى الصواب أو ردعه عن غيه .. سنواجه المعاندين بشتى صنوفهم وعلى اختلاف غاياتهم ومذاهبهم وسيكون الجهاد هو سبيلنا معهم" . [١٩]

والمتأمل للطرق والوسائل التى تطرحها الجماعة الإسلامية كصيغ للتعامل مع الواقع بكل متطلباته وتحدياته فى كل زمان ومكان - سيجدها كما سبق وأن أشرنا- تتمحور حول ثلاث فرائض هى ، الدعوة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد ، وأن هذه الرسائل أو الغايات لا يمكن أن تتم إلا من خلال "الجماعة" ، تلك التى يقصد بها العمل الجماعى المنضبط شرعا والمنظم حركة .

إن طرح الجماعة الإسلامية للأساليب السابقة (الدعوة والحسبة والجهاد) كطرق للتعامل مع الواقع وكآليات لتغييره ، تعنى بداهة أنها ترفض ما سوى ذلك من أساليب ماانزل الله بها من سلطان ، وترفض ما عدا ذلك من طرق مبتدعة لم يأت بها الإسلام ولم يأذن بها الله ، إنهم يرفضون كل الوسائل الاخرى التى تأتى بها الانظمة الحاكمة ، او على حد تعبيرهم : التى من صنع الجاهلية ، كأدوات فى العمل وكآليات للتغيير سواء من خلال مؤسساتها أو من خلال تنظيماتها وهم فى ذلك يذهبون : ".. لا يصح

أن نقتبس طرقاً وأساليب من صنع الجاهلية ومن وحى منهجهاً للتعامل بها وندَّعى أننا ساعون لنصرة ديننا وماضون لتحقيق أهدافنا ، بل نساعد الجاهلية فى سعيها للوصول إلى غايتها وتحقيق أهدافها .."[٢٠] . إن الوسيلة فى الإسلام ليست شيئا مبتكرا أو خارجا عن شريعته ، فهى من صميم منهجه ، كما أنها فى الوقت ذاته ليست أمراً قانونياً يمكن استبداله أو الاستغناء عنه . إن أية وسيلة أو منهج يأتى من قبل البشر مرفوض ، لأنه يباعد بين العقيدة الإسلامية الحقيقية وبين الناس ، لذا فهو نوع من العمالة ، ومظهر من مظاهر الموالاة للجاهلية .

إن البشرية اليوم بكل مجتماعاتها ونظرياتها ونظمها ومناهجها ، ما هى إلا نتاج دعوى باطلة وأديان جاهلية ظلت تبث دعوتها حتى صار الأمر إلى ما صار عليه اليوم، لذا فإن مهمتهم تتلخص فى تعبيد الناس لربهم ، وحتى يتم ذلك ، لابد أن يدفعوا الثمن، يدفعوا كل ما هو غال من أجل رضى الله ورسوله : أى أن الجهاد حتمية مفروضة عليهم ، حتمية يفرضها الشرع وتمليها طبيعة الدين ، حتمية تدفعها طبيعة الجاهلية القائمة . ويوضح ميثاق العمل الإسلامى ، أن الجهاد فى سبيل الله سوف يخرج الاسلام من الذلة إلى العزة ، وأن هناك مجموعة من الأسباب تطرح قضية الجهاد بقوة فى هذه الأيام ، وهذه الأسباب هى :

١- يملى علينا الإجماع المنعقد وجوب خلع الحاكم الكافر : أليس حكام بلادنا قد كفروا باستبدال الشرع وبحكم الخالق بشرع جاهلى ؟ أليس الجهاد واجباً اليوم لخلع هؤلاء الحكام ؟

٢- يملى علينا الاجماع المنعقد وجوب قتال أية طائفة ذات شوكة تمتنع عن شريعة الله : أليست الطوائف المهيمنة على بلادنا ممتنعة عن أكثر شرائع الإسلام؟ أليس الجهاد واجباً اليوم لإجبار هذه الطوائف على التزام ما امتنعت عنه من شرائع الله؟

٣- يملى علينا الإجماع المنعقد وجوب تنصيب خليفة للمؤمنين : أليست الخلافة غائبة عنا اليوم ، ألم يسقطها أعداؤنا بالسيف والقهر ؟ اليس الجهاد هو طريق عودتها؟

٤- يملى علينا الإجماع المنعقد وجوب الدفاع عن ديار الاسلام واسترداد ما استولى عليه الكفار منها : أليس الجهاد واجباً لاسترداد فلسطين والاندلس وبلدان البلقان والجمهوريات الإسلامية السوفيتية وغيرها ؟

٥- يملى علينا الإجماع المنعقد وجوب تخليص أسرى المسلمين : أليست السجون والمعتقلات فى كل بقاع الأرض تعج بالألوف من أهل الإسلام ؟ أليس الجهاد واجبا لإنقاذهم ؟ . (٢١)

أنه لكل ما سبق يرى ميثاق العمل الإسلامى أنهم مأمورون بالقتال لتخليص ما نحياه اليوم من ذلة ومهانة (مرحلة ما يسمى "بالاستضعاف") . إن الجهاد حتمية "غلبتها" طبيعة هذا الدين وطبيعة الجاهلية . إنهم يرون أن حتمية الجهاد لا يمكن أن تتم غلا من خلال الجماعة والعمل الجماعى ، الذى هو فى نظرهم ترجمة واحدة ووحيدة لأمر الله ورسوله ، ألا وهو : الوحدة والاعتصام . غن المدقق فى فريضة الجهاد التى تسعى إليها الجماعة الاسلامية بقوة يستطيع إن يستدل فيها على أنها سعى لإقامة الدين فى الدنيا الذى هو فى الوقت ذاته بمثابة مواجهة شاملة مع الجاهلية (الأنظمة الحاكمة القائمة) الكافرة .

و- زاد الجماعة الإسلامية :

الزاد لدى الجماعة الإسلامية هو تقوى الله ، لأن التقوى هى مفتاح الخلاص من كل ما نحياه من ضعف وتخلف وهوان . إن هذه التقوى لن تدب فى النفوس طالما نبتعد عن عقيدة السلف الصالح ، لذا من الواجب أن نتعلم هذه العقيدة وان نتأدب بها ، أن تقوى الله لدى هذه الجماعة هى العلم ، بل كل العلم ، لأنه ينحصر فيها العلم بالله والعلم بأمر الله ، والواقع أن تقوى الله لن تتم إلا من خلال التحلى بالصبر الذى هو بالضرورة صبر على البلاء والمحن وشكر الله على كل ما يصاب به الإنسان .

ز- ولاء الجماعة الإسلامية وعداؤها :

. يتحدد ولاء الجماعة الإسلامية فى الولاء لله ولرسوله المبلغ عنه رسالته ، أما عداؤه فللظالمين . إنهم يحددون بذلك موقفهم مع حزب الله وضد حزب الشيطان ، أى أنهم ضد الكافرين ومع المؤمنين .

ج- إجماع الجماعة الإسلامية :

إن أهداف الجماعة الإسلامية يستحيل تحقيقها بغير عمل جماعى منضبط شرعا ومنضبط حركة . إن الحركة الإسلامية لن تستطيع القيام بأهدافها دون تبنى أسلوب العمل الجماعى ، فالاجتماع ضرورة من ضرورات الحركة الإسلامية لتحصيل وتحقيق القوة وأسبابها ، ولكن فى الوقت نفسه لا تقبل الجماعة الإسلامية أن يكون العمل الجماعى بغير زاد أو أن يكون العمل الإسلامى مثل العمل الحزبى يخوضه الناس بغير خُلُق .

إن اجتماع الجماعة الاسلامية لابد أن تتحقق فيه شروطه الصحيحة ، تلك التى تتمحور حول التسلح بالزاد حتى لا يحدث وجود ميوعة فكرية وضياع للحق . إن الزاد الذى يتحدث عنه ميثاق العمل الإسلامى ، يتلخص فى الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً . إن اجتماع الجماعة الاسلامية من خلال الزاد سوف يوسع هذه الجماعة ويفرز الخوارج عنها ، ومن ثم سوف يؤدى إلى تحصيل القوة وأسبابها [٢٢] .

٩ - موقف الجماعة الإسلامية من بعض القضايا وفقا لخطابهم السياسى:

أولاً : موقفهم من الديمقراطية :

الديمقراطية تحمل فى طياتها مخالفات جوهرية وعميقة للمنهج الإسلامى بما يجعلها فى تناقض صارخ مع الإسلام ، ويتضح ذلك من الاستعراض السريع لكل مبادئ الديمقراطية كالآتى :

١- الديمقراطية تجعل الشعب هو صاحب السيادة ، أى أنه صاحب السلطة المطلقة ، هذا ما لايقره مسلم أبداً ، وذلك لأن المسلمين جميعهم طائعيهم وعاصيهم لا يسلمون أن تكون السيادة لأحد من دون الله .

٢- إن الديمقراطية تجعل الشعب مصدراً للسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، أما وجود سلطة تشريعية بشرية تشرع ما لم يأذن به الله وفق هواها وما تراه عن طريق برلمان أو غيره ، فهذه جاهلية ، إذ إن حق التشريع غير ممنوح لأحد

من الخلق لأنه حق خالص لله تعالى . والديمقراطية تخالف الإسلام عندما تمنح الشعب حقاً مطلقاً فى تولية من يشاء وعزله وفق الهوى والمزاج ودونما التفات للقواعد التى أرساها الإسلام للتولية والعزل ودون الالتزام بالشروط التى وضعتها الشريعة الغراء لكل من يولى على ولاية من الولايات .

٣- أما الحريات فالديمقراطية تطلقها دون قيد أو شرط ، ولكل المواطنين ليستوى فى ذلك الحق والباطل والطيب والخبيث والصواب والخطأ والإيمان والكفر ، إذ إنها لا تعرف حقاً من باطل ولا تقر ديناً أيا كان هذا الدين ، ومن ثم فالحرية ممنوحة لكل الناس من شاء أن يعتقد أى عقيدة فله ما يريد ، ومن شاء أن يرتد عن الإسلام فليفعل دون عقاب أو حتى عتاب ، ضاربين عرض الحائط بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "ومن بدل دينه فقد كفر" .

٤- والديمقراطية ترسى قاعدة تعدد الأحزاب ، وتلك القاعدة هى الأخرى تختلف مع الإسلام اختلافاً جذرياً ، ذلك أن تعدد الأحزاب لا ينشأ إلا عن تعدد الأيديولوجيات فى المجتمع فتحتاج كل منها إلى التعبير عن نفسها ، والدعوة لفكرها ، وجمع الأنصار للاعتماد عليهم فى السعى نحو كرسى الحكم ، بينما الحكم فى دولة اسلامية لا تتنازعه "أيديولوجيات" مختلفة ، لسبب بسيط هو أن الحكم وسلطته لا يكون إلا فى أيدى المسلمين والذين ليست لهم إلا عقيدة واحدة ودين واحد ، ومن ثم فلا خلافات "أيديولوجية" بينهم كتلك القائمة فى المجتمعات الديمقراطية ، وبناء عليه فليس هناك فى المجتمع المسلم إلا حزبان "حزب الله المأمور بإقامته ، وحزب الشيطان ، وقيامه ممنوع".

٥- وتنادى الديمقراطية بالمساواة بين جميع المواطنين ، فتجعل المواطنة هى أساس التسوية بينهم بغض النظر عن الدين والتقى ، ويأبى الإسلام ذلك : يأبى التسوية بين المسلم والكافر (أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون) (٢٣)

يأبى تسوية العالم بالجاهل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (٢٤)، يأبى تسوية المطيع بالعاصى .. (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) (٢٥) .

ثانياً : موقف الاتجاه الجهادى من تطبيق الشريعة الإسلامية :

تذهب الجماعة الاسلامية إلى أن الله حذَّر رسوله من فتنته وصرفه عن بعض ما أنزل الله إليه . وهذا يدل على وجوب الاستمساك بكل ما أنزل الله وتحريم ترك أى جزء منه ولو كان حكماً واحداً ، وبذلك يغلق القرآن الباب فى وجه فتنة من أخطر الفتن التى تعترض مسيرة هذا الدين ، تعنى : فتنة التبعيض والتجزيىء ، والعمل ببعض الحق وترك بعضه .

ثم نقول للمنادين بالتدرج : هل ما ستقدمونه على شرع الله خير من حكم الله ؟ ! إن قالوا: نعم خير من حكم الله ، كفروا بإجماع المسلمين ، وإن قالوا : بل حكم الله خير منهم ، قلنا : فلم تستبدلون الذى هو خير بالذى هو أدنى ؟! فإن قالوا : ريثما تتم تهيئة المجتمع .. قلنا : أأنتم أعلم أم الله ؟ أأنتم أحكم أم الله ؟ .. إن قالوا : نحن أعلم أو أحكم كفروا ، وإن قالوا الله أعلم وأحكم .. قلنا : ألم تسمعوا قوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فلماذا تقدمون شرع من لا يعلم ولا يفقه ولا يعدل على شرع العليم الحكيم الخبير ، ونحن نقول بما قاله ابن كثير : "من ترك شرع الله المحكم المنزل على خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من شرائع كَفَرَ بإجماع المسلمين .. " ولا يغفل عن هذا الكافر قوله بأنه استجدت أحوال وظروف تقتضى الخروج عن شرع الله وتحكم غيره ولو فى أقل القليل ، بل إنه يجمع إلى كفره بترك التحاكم لشرع الله كفراً آخر بطعنه فى دين الله وشركه أن يصلح لهذا الزمان ، وظنه أن الله تعالى لم يكن يعلم ما سوف يستجد من أحوال فى أيامنا هذه ، ولذا جاء شرعه غير قادر على مواكبته ، وهذا من أعظم الكفر والزندقة تعالى الله عما يصفون . والإسلام لم يكتف بتهديد وتوعد الذين لا يلتزمون بكل شرائعه بعذاب الآخرة فقط ، بل أمر المؤمنين بمقاتلة كل طائفة لا تلتزم بشرائع الإسلام فتمتنع عن بعضها ، قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) . ثم يسرد للتدليل على ذلك آراء الطبرى وابن تيمية والإمام مالك ، ثم يقول بعد ذلك : فهنا إجماع العلماء على قتال كل طائفة ممتنعة عن شريعة واحدة من شرائع الإسلام طالما أن المسلمين لم يتمكنوا من إلزامها

بجميع شرائع الإسلام بغير قتال .. أليس القائلون بالتدرج - يخضعون لهذا الحكم ؟! (٢٦).

ثالثاً : موقف الجماعات الإسلامية العنيفة من الأقباط:

أ - إن هناك فارقاً واضحاً بين معاملة من يحمل العداء للمسلمين ويظاهر عليهم وبين من لا يعاديهم فى الدين ولا يظاهر عليهم ، فالذى يحمل العداء يجيز لنا الشارع الحكيم أن نبره ونحسن إليه فى غير الموالاة والنصرة ، أما ذلك المعادى فى الدين فينبغى أن يعامل عداء بعداء وحرباً بحرب.

ب - إن الشارع الحكيم قد ميز فى المعاملة حتى بين أولئك الذين لم يحاربونا فى الدين ولم يظاهروا علينا ، فميز أهل الذمة عن غيرهم ممن لا ذمة لهم . وجعل لأهل الذمة فى المجتمع المسلم حماية وبراً وحقوقاً مترتبة على ذمتهم هذه لم يجعلها لغيرهم ممن لا ذمة لهم من المظاهر والمعاملات مما يشعرهم ببشاعة ما هم عليه من كفر وبقربهم من الإسلام ويغريهم بالانضواء تحت لوائه وهم ينالون تلك الحماية والبر نظير ما يدفعونه من جزية عن يدٍ وهم صاغرون وبعد التزامهم بالضمانات والمظاهر السابق الإشارة إليها.

هؤلاء الذميون يختلفون بالطبع عن شنوده وأمثاله ممن ظهرت مناوأتهم للمسلمين، فإن ذمته ومن شاكله تكون منتقصة بمظاهرتهم هذه وحربهم - إن كانت ثمة ذمة أصلاً سابقة لهم - إذ أن المظاهرة على المسلمين والاستعانة بالكفار فى غير بلاد المسلمين على مسلمى بلادهم وإعداد العدة لحرب المسلمين بتجميع السلاح وتدريب الشباب تنقص الذمة بلا منازع ، ومعاملة من لا ذمة له ومن انتقصت ذمته لاود فيها ولا مناصرة ولا تأييد.

جـ - إن المولى عز وجل قد حظر موالاة الكافرين ونصرتهم ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم) .. وخص الذين يعادون الإسلام والمسلمين للدين بنهى وزجر

آخر فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة).

د - إن علماء المسلمين قد أنكروا أنواعاً من المودة مع أهل الكتاب المسالمين من أهل الذمة أشد إنكاراً ، وذكروا كيف أن الشارع الحكيم قد نهى عنها واعتبرها من الموالاه المرفوضة الطاعنة فى عقيدة فاعلها ، ومن هذه الصور : تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم التى هى من صميم عقائدهم المخالفة للإسلام كعيد القيامة والميلاد وغيرهما .. ، حيث إن الأئمة من أهل العلم اتفقوا على تحريمها لما فى ذلك من إعلاء لشعائر الكفر وإظهار لدعوتهم ، فضلاً عما تحمله من إقرار للمعانى الكفرية التى يحملها العيد موضوع التهنئة مثل إثبات الموت والقيامة للمسيح عليه السلام.

هـ- سبق أن أشرنا إلى أن الشارع الحكيم قد أوجب لأهل الذمة معاملة ومظاهر فى المجتمع المسلم من شأنها أن تشعرهم بحقارة ما هم عليه من كفر وترغبهم فى الدخول فى الاسلام .

أما هذه المعاملة القائمة على إزالة الحواجز بين ما هو من الدين وغيره ، فمن شأنها أن تصحح لهم عقيدتهم وتشعرهم بعدم وجود فوارق بين دينهم وغيره ، بل من شأنها أن تغريهم بالانتقاص من الإسلام والمسلمين .

و - إن لهذا الأسلوب خطورته فى تربية الشباب المسلم بما يطرحه من تمييع للقضايا العقيدية والاستهانة بقضية الموالاة ، هذه الطريقة من شأنها أن تحدث اختلالا غير شعورى فى باطن الشباب فى مسائل الموالاة والحب فى الله التى جعلها الشارع معياراً للإيمان.

موقف التنظيمات الرئيسية فى مصر من بعض القضايا ومدى الاختلاف بينهم*

(٣) الرد على الخطاب الجهادى العنيف : الأزهر ودار الإفتاء

فى هذا الجزء ندرس مضمون الرد على الخطاب الجهادى فى مصر على يد مفتى جمهورية مصر العربية آنذاك وشيخ الأزهر السابق - جاد الحق على جاد الحق

(وعلى وجه التحديد على كتاب : الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج ، ومنه نفهم بقية الردود على معظم الأفكار الأخرى للجهاد والجماعة الإسلامية عموماً)* ، وهذا ملخص التقرير:

تمهيد : تعريفات ومفاهيم :

أ – لابد من العودة إلى اللغة العربية وأصولها لمعرفة معانى القرآن واستعمالاته فى الحقيقة والمجاز وغيرهما وفقاً لأساليب العرب ، فالقرآن نزل بلسان عربى مبين على رسول عربى لا يعرف غير لغة العرب.

ب – الإيمان وحقيقته : فالإيمان هو فى لغة العرب يعنى التصديق مطلقاً ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى تعريف الإيمان (أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره) ومعناه التصديق القلبى بكل ذلك وبغيره مما وجب الإيمان به . وهو عقيده تملأ النفس بمعرفة الله وطاعته فى دينه.

جـ – الإسلام وحقيقته : الإسلام يعنى الدخول فى دين الإسلام . وهو يعنى العمل بالقيام بفرائض الله من النطق بالشهادتين وأداء الفروض والانتهاء عما حرم الله سبحانه ورسوله الكريم ، فالإيمان إذن تصديق قلبى ، فمن أنكر وجحد شيئاً مما أوجب الإيمان به فهو كافر . أما الإسلام فهو القول والفعل ، عمل الجوارح ونطق باللسان ، وهما متلازمان لأن الإسلام مظهر الإيمان.

د – متى يكون الإنسان مسلماً ؟ : النصوص من القرآن والسنة تهدينا صراحةً إلى أنه وإن كانت الأعمال مصداقة للإيمان ومظهراً عملياً له ، فإن المسلم إذا ارتكب ذنباً من الذنوب بأن خالف نصاً فى كتاب الله أو فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم – ما دام يعتقد صدق النص ويؤمن بلزوم الامتثال له ، فإنه يكون – فقط – عاصياً – وآثماً لمخالفته فى العمل أو الترك .

هـ – ما هو الكفر ؟ : فى اللغة ، كفر الشىء أى ستره وغطاه . الكفر شرعاً أن يجحد الإنسان شيئاً مما أوجب الله الإيمان به ، بعد إبلاغه إليه وقيام الحجة عليه وهو على أربعة أنحاء : كفر إنكار ، بأن لا يعرف الله ولا يعترف به ، وكفر جحود ،

وكفر معاندة ، وكفر نفاق ، ومن لقى ربه بأى شىء من هذا الكفر لم يغفر له (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . وإذا كان ذلك هو معنى الإيمان والإسلام والكفر مستفاداً من نصوص القرآن والسنة كان المسلم الذى ارتكب ذنباً وهو يعلم أنه مذنب عاصياً لله سبحانه وتعالى معرضاً لعقابه وغضبه ، ولكنه لم يخرج بما ارتكب عن ربقة الإيمان وحقيقته ، ولا عن الوصف بالإسلام وحقيقته وحقوقه . وايا كانت هذه الذنوب التى يقترفها المسلم خطأ وخطيئة ، كبائر أو صغائر لا يخرج بها عن الإسلام ولا عن عداد المؤمنين .. من هذه النصوص ترى أنه لا يحل تكفير مسلم بذنب اقترفه سواء كان الذنب ترك واجب مفروض أو فعلاً محرماً (منهى عنه) ، وأن من يكفِّر مسلماً أو يصفه بالفسوق يرتد عليه هذا الوصف إن لم يكن صاحبه على ما وصف.

من له الحكم بالكفر أو الفسق؟

إن من يتولى الفصل (فى هذا الأمر) وبيان الحكم هم العلماء بالكتاب والسنة ، فليس لمسلم أن يحكم بالكفر أو الفسق على مسلم ، وهو لايعلم ما هو الكفر ولا ما يعتبر به المسلم مرتداً كافراً بالإسلام أو غاصباً مفارقاً لأوامر الإسلام . إن الإسلام عقيدة وشريعة له علماؤه الذين تخصصوا فى علومه تنفيذاً لأمر الله ورسوله ، فالتدين للمسلمين جميعاً .. ولكن الدين وبيان أحكامه وحلاله وحرامه لأهل الاختصاص به وهم العلماء ، قضاء من الله ورسوله.

أولاً : الجهاد :

فى اللغة : أصله المشقة . ويقال : جاهدت جهاداً ، أى : بلغت المشقة ، وفى الشرع : جهاد فى الحرب ، وجهاد فى السلم ، فالأول هو : مجاهدة المشركين بشروطه ، والآخر هو جهاد النفس والشيطان . وفى الحديث (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، ألا وهو : جهاد النفس) وللحديث رواية أخرى ، وليس من الأحاديث الموضوعة .

هل الجهاد فرض عين على كل مسلم ؟

قال أهل العلم بالدين وأحكامه إن الجهاد بالقتال كان فرضاً فى عهد النبى (ص) على من دعاه الرسول من المسلمين للخروج للقتال ، وأما بعده فهو فرض كفاية إذا دعت الحاجة ، (وبالتالى) يكون فرضاً على كل مسلم ومسلمة فى كل عهد وعصر إذا احتلت بلاد المسلمين ، ويكون بالقتال وبالمال واللسان ، وجهاد النفس فرض عين على كل مسلم ومسلمة دائماً وفى أى وقت .

ثانياً : الحكم بما أنزل الله بهذا البيان يكون مجرد ترك بعض أوامر الله ، او مجرد فعل ما حرم الله ، مع التصديق بصحة هذه الأوامر وضرورة العمل بها ، ويكون هذا إثماً وفسقاً ولا يكون كفراً ما دام مجرد ترك او فعل دون جحود أو استباحة .

وعلى ذلك يكون تكفير الحاكم لتركه بعض أحكام الله وحدوده دون تطبيق لا يستند الى نص فى القرآن والسنة ، وإنما نصوصهما تسبغان عليه إثم هذه المخالفة ولا تخرجانه بها عن الإسلام ، ولعل فيما قاله رسول الله وأوردناه فيما سبق من قول (ثلاث من أصل الايمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله .. لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل ..) لعل فى هذا الرد القاطع على دعوى تكفير المسلم الذى لم يجحد شيئاً من أصول الإسلام وشريعته .

ثالثاً : بلادنا دار اسلام :

جاء فى ص ٧ (من كتاب الفريضة الغائبة) أن أحكام الكفر تعلو بلادنا ، وإن كان أكثر أهليها مسلمين ، وهذا قول مناقض للواقع : فهذه الصلاة تؤدى ، وهذه المساجد مفتوحة ، وتبنى ، وهذه الزكاة يؤديها المسلمون ويحجون بيت الله ، وحكم الإسلام ماضٍ فى الدولة ، إلا فى بعض الأمور كالحدود والتعامل فى الربا وغير هذه مما شملته القوانين الوضيعة ، وهذا لا يُخرِج الأمة (الدولة) عن أنها دولة مسلمة وشعب مسلم ، لأننا حكاماً ومحكومين نؤمن بتحريم الربا والزنا والسرقة وغير هذا ، ونعتقد صادقين أن حكم الله خير وهو الأحق بالاتباع ، فلم نعتقد حل الربا وإن تعاملنا به ولم

نعتقد حل الزنا والسرقة وغير هذا من الكبائر وإن وقع كل ذلك بيننا ، بل كلنا – محكومين وحاكمين – نبتغى حكم الله وشرعه ، ونعمل به فى حدود استطاعتنا .

رابعاً : ما السبيل إلى تطبيق أحكام الله غير المنفذة ؟ وهل يبيح ذلك قتل الحاكم والخروج عليه ؟ :

.. إن الإسلام لا يبيح الخروج على الحاكم المسلم وقتله ما دام مقيما على الإسلام ويعمل به حتى ولو بإقامة الصلاة فقط ، وإن على المسلمين إذا خالف الحاكم الإسلام ان يتولوه بالنصح والدعوة السليمة المستقيمة ، فإذا لم يقم الحاكم حدود الله وينفذ شرعه تماماً ، فليست له طاعة فيما أمر من معصية أو منكر ، ومعنى هذا أن الحكم بما أنزل الله لا يقتصر على الحاكم فى دولته ، بل يشمل كل أفراد المسلمين رجالاً ونساء ، عليهم الالتزام بأمر الله فيما افترض من طاعات والانتهاء عما نهى من منكرات .

خامساً : آية السيف :

وقد عنى الكتيب (الفريضة الغائبة) بآية السيف ، فى قول الله تعالى فى سورة التوبة "فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم" .. ونقل الكتاب أن هذه الآية نسخت مائة وأربع عشرة آية فى ثمان وأربعين سورة ، فهى ناسخة لكل آية فى القرآن فيها ذكر الأعراض والصبر على أذى الاعداء ، هذه الآية الكريمة كما هو منطوقها واردة فى مشركى العرب الذين لا عهد لهم حيث نبذت عهودهم وضرب الله لهم موعد الأربعة أشهر الحرم . وقد فرق القرآن فى المعاملة بين مشركى العرب فى هذه الآية والمشركين وأهل الكتاب من الأمم الأخرى . والأمر بقتال مشركى العرب فى هذه الآية وما قبلها مبنى على كونهم البادئين بقتال المسلمين والناكثين لعهودهم .. والصواب أنه لا نسخ وأن كل آية فى موضعها ، كما أن الأصل أن الاعمال مقدم من على الاهمال :

فالآية موجهة إلى المشركين الكافرين بأصول الدين ، وغير موجهة فى الأمر بقتال المسلمين ، فالاستدلال بها على أنها آمرة بقتال المشركين وغيرهم فى غير موضعه ، بل يناقض لفظها .

سادساً : السلاجقة والتتار :

هم أولئك الوثنيون الزاحفون من الشرق ، أخضعوا بلاد ما وراء النهر ، وتقدموا إلى العراق ، وظلوا يزحفون حتى وقعت فى أيديهم أكثر الأراضى الإسلامية ، ثم من بعدهم المغول التتار المتوحشون والوثنيون الذين سفكوا دماء المسلمين بالقدر الذى لم يفعله أحد من قبلهم .. هؤلاء هم الذين حاربهم ابن تيمية وأفتى فى شأنهم فتاويه التى تأثر بها هذا الكتيب (الفريضة الغائبة) اختصاراً وابتساراً واستدلالاً بها فى غير موضعها .. هذا الكتيب إنما يروج لما قال به المستشرقون من أن انتشار الإسلام جاء بالسيف .

سابعاً : فتاوى ابن تيمية التى نقل منها الكتيب :

تقدم القول بأن لا وجه للمقارنة بين حكام المسلمين وبين التتار ، لكن هذا الكتيب قد أشار إلى فتوى لابن تيمية فى المسألة (٥١٦) من فتاويه فى باب الجهاد . وبمطالعة هذه الفتوى نرى أنها قد أوضحت حال التتار وأنهم وإن نطق بعضهم بكلمة الاسلام ،فإنهم لم يقيموا فروضه ، حيث يقول "وقد شاهدنا عسكر القوم فرأينا جمهورهم لايصلون ، ولم نر فى عسكرهم مؤذنا ولا إماماً ، وقد أخذوا من أموال المسلمين وذراريهم وخربوا من ديارهم ما لا يعلمه إلا الله . ولم يكن معهم فى دولتهم إلا من كان شر الخلق : إما زنديق منافق ، لا يعتنق دين الاسلام فى الباطن ، وإما من هو شر أهل البدع كالرافضة والجهمية والاتحادية ونحوهم ، إلى أن قال وهم يقاتلون على ملك جنكيز خان ، .. إلى ان قال وهو ملك كافر ومشرك من اعظم المشركين كفراً وفساداً وعدواناً من جنس بختنصر وأمثاله ، إن اعتقاد التتار فى جنكيز خان كان عظيماً ، لأنهم يعتقدون أنه ابن الله ... الخ . هذه العبارات وأمثالها مما جاء فى تسبيب الفتوى تفصح عن أن ابن تيمية قد وقف على واقع التتار ، وأنهم كفار غير

مسلمين وإن نطقوا بكلمة الإسلام تضليلاً للمسلمين . أين هؤلاء التتار من جيش مصر الذى عبر وانتصر بهتاف الاسلام " الله أكبر " .. فى شهر رمضان ورجاله صائمون مصلون يؤمهم العلماء . وفى كل معسكر مسجد وإمام يذكرهم بالقرآن وبأحكام الدين .

ثامناً : هذا الكتاب لا ينتسب إلى الإسلام وكل ما فيه أفكار سياسية : نرى هذا واضحاً فى الكثير من عناوينه :

أ- الخلافة والبيعة على القتال : إن الشورى هى أساس الحكم فى الإسلام ، والحاكم فى الإسلام وكيل عن الأمة ، لذلك كان من شأنها أن تختار الحكام وتعزلهم وتراقبهم فى كل تصرفاتهم ، ويجب أن يكون الحاكم المسلم عادلاً قوياً فى دينه ومقاومته لأهل البغى والعدوان .

ويتفق أهل العلم بالإسلام وأحكامه على أن خليفة المسلمين هو مجرد وكيل عن الأمة يخضع لسلطانها فى جميع الأمور . وهو مثل أى فرد فيها ، فهو فرد عادى لا امتياز له ولا منزلة الا بقدر عمله وعدله . فالإسلام أول من سن بتلك الآيات مبدأ : الأمة مصدر السلطات ، والإجماع منعقد منذ عصر الصحابة على وجوب تعيين حاكم للمسلمين استناداً إلى أحاديث رسول الله (ص) فى هذا الموضوع . ولم تحدد نصوص الإسلام طريقاً لاختيار الحاكم ولى الأمر لأن هذا مما يختلف باختلاف الزمان والمكان ، ومن ثم كان الاختيار بطريق الانتخاب المباشر أو بغيره من الطرق داخلاً فى نطاق الشورى فى الإسلام .

وتسمية خليفة للمسلمين أمر تحكمه عوامل السياسة فى الأمة الإسلامية على امتداد أطرافها أو أقطارها ، وليس من الأمور التى تتعطل من أجلها مصالح الناس . وإقامة الدين بعد أن تفرق المسلمون إلى دول ودويلات ، لكن المهم أن يكون هناك الحاكم المسلم فى كل دولة إسلامية ليقيم أمور الناس وأمور الدين حتى إذا اجتمعت كلمة المسلمين كأمة وصاروا فى دولة ذات كيان سياسى واحد يعرف العصر وأساليبه كما هو فى واقع الدين أمة واحدة مع اختلاف لغاتهم وأوانهم إذا اجتمعت الكلمة : حق عليهم أن يكون لهم حاكم واحد .

وانتخاب الحاكم بالطرق المقررة فى كل عصر قائم مقام البيعة التى ترددت فى كتب فقهاء الشريعة فى البيعة ، الإدلاء بالرأى والالتزام بالعهد . والقتال فى حد ذاته ليس هدفاً - كما تقدم - وكما يقضى القرآن والسنة ، وإنما هو وسيلة لحماية الدين والبلاد، ولم يكن آنذاك تجنيد إجباري وجيش نظامى متفرغ لهذه المهمة ، حتى إذا ما جيش عمر بن الخطاب ومن بعده الجيوش ودون الدواوين ، ولم يعد هناك مجال لبيعة على القتال خارج صفوف جيش الدولة . ولا كان هؤلاء الذى يتابعون على مثل هذا خارجين على جماعة المسلمين وحل قتالهم والأخذ على أيديهم .

ماذا يعنى لفظ الخليفة وتاريخه فى الإسلام ؟ :

الخلافة اسم مصدر من استخلف ، والمصدر الاستخلاف . وهذا المعنى دخل فى الاصطلاح الشرعى فى اسم الخليفة ومهمته . فقد اصطلح علماء الشريعة على أن الخليفة نائب فى القيام فى سياسة الأمة وتنفيذ الأحكام ، وقد توقف هذا اللقب بعد وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ولم يلقب بخليفة رسول الله (ص) أحد بعده من الخلفاء . وإنما اطلق على كل واحد منهم أمير المؤمنين , وهذه الإمارة اصطلاح ليس من رسم الدين ولا حكمه ، فلنسم الحاكم واليا أو رئيس جمهورية أو غير هذا من الأسماء التى يصطلح عليها ، إذ لا مشاحة فى الاصطلاح .

ب- الإسلام والعلم :

وعن ترك العلم بحجة الجهاد : كيف نترك فرض عين من أجل فرض كفاية ؟ كما جاء فى كتيب (الفريضة الغائبة) ، والعلم فى الإسلام يتناول كل ما وجد فى الكون ، فضلاً عن العلم بالدين عقيدة وشريعة وأداباً وسلوكاً . والعلم جهاد ، ففى الحديث الشريف قول الرسول (ص) : "من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع"، رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه . ولقد ذكر أمام الرسول (ص) رجلان عالم وعابد ، فقال : (فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم) رواه الترمذى عن أبى قتادة . وكما بدأ القرآن فى النزول بكلمة العلم وتفضيله : اقرأ باسم ربك .. كان افتداء

الأسرى فى بدر تعليم أولاد المسلمين القراءة والكتابة ، وهكذا كانت السنة الشريفة مع القرآن تبيانا وهداية إلى العلم .. وهكذا كان شأن العلم فى الإسلام .

إن هذه الدعوة الأثيمة إلى التقليل من فضل العلم هى دعوة إلى الأمية والبدائية باسم الإسلام ، وفيها تحريض للشباب بالانصراف وهجر دراستهم فى المدارس والجامعات والامتناع عن استيعاب العلوم : علوم الدين ، وعلوم الدنيا ، وهى الدعوة التى أوى أليها بعض الشباب الذين غرر بهم هؤلاء المفسدون .

نابليون والأزهر وعلماؤه :

إن الكتيب يعيب على الأزهر وعلمائه بادعائه انهم لم يعملوا شيئاً حين دخل نابليون وجنوده الأزهر بخيلهم ونعالهم متجاهلاً التاريخ المسطور الأمين فى وصف جهاد العلماء وقيادتهم لشعب مصر ومطاردتهم للاستعمار ، منذ عهد نابليون ومن قبله ومن بعده . وهل خرج نابليون وأتباعه مدحورين إلا بجهاد الشعب بقيادة الأزهر ؟ وكان هذا هو الجهاد المشروع الذى أفتى به علماء الأزهر وقادوه من الأزهر ومن غير الأزهر ، وليس ذلك الجهاد الذى يستعمل فيه السلاح فى غير موضعه أو يجاهد فى غير عدو فيقتل المواطنين عدواناً وظلماً ويدعى لنفسه حق تكفير المسلمين واستباحة دمائهم .

ج- التعامل مع غير المسلمين والاستعانة بهم :

نقل الكتيب بعض الأحاديث فى النهى عن الاستعانة بالمشرك والتعامل معه .. ولابد حين نستقى حكما ونستنبطه من القرآن والسنة أن نستوفى كل النصوص المؤدية إلى الأحكام الصحيحة بمعرفة أهل الاختصاص والعلم بالأحكام . وإذا رجعنا إلى سنة رسول الله (ص) نجده استعان فى هجرته بعبد الله بن أريقط وهو مشرك اتخذه دليلاً لرحلة الهجرة .. وقد رافقه حتى وصل إلى المدينة .. ولما دخلت بلاد الفرس والروم فى الإسلام ودون عمر بن الخطاب الدواوين ونقل عنهم بعض نظمهم الإدارية استعان على ذلك ببعض خبرائهم وهم على دينهم .

فالأصل فى السلام التعامل مع الناس جميعاً ، المسلم وغير المسلم ، فيما لا يخالف نصاً صريحاً من كتاب الله وسنة نبيه (ص) ، أو حكماً أجمع عليه المسلمون والثابت أن الرسول (ص) قبل دعوة يهودى لتناول الطعام فى بيته ومعه السيدة عائشة قبل نزول آية الحجاب ، وقد قبل هدية امرأة يهودية وكانت الهدية شاة مسمومة ، ومات رسول الله (ص) ودرعه مرهونة عند يهودى ، وعقد معاهدة مع اليهود بعد هجرته مباشرة وظل على عهده ومعاهدته لهم حتى نقضوها هم ، وجرى تعامل المسلمين فى هذا العهد مع غيرهم من المخالفين فى الدين فى التجارة والزراعة وغيرهما ولم ينعزلوا عن جيرانهم ، وهل هناك إباحة للتعامل أكثر من تبادل الطعام بين المسلمين وغير المسلمين من أهل الكتاب وجعل نسائهم زوجات للرجال من المسلمين . كل ذلك ما لم يرد نص صريح فى القرآن أو السنة يمنع التعامل فى شأن ما مع غير المسلمين.

د- الخدمة فى الجيش :

إن الجيش هو عدة البلاد ، وهو المنوط به حماية أمنها الخارجى والداخلى ، وهو فى الجملة معهود اليه من الشعب بحماية الأرض والعرض . وهو البديل المشروع للبيعة التى كانت تعقد بين أفراد المسلمين وبين رسول الله (ص) للقتال . فقد كان عهده معهم أن يمنعوه (أى يدافعون عنه) مما يمنعون منه أولادهم ونساءهم ، وحتى اذا ما استقرت دولة المسلمين كان لها الجيش المنظم المتفرغ لهذه المهمة . وهذا نوع من الجهاد ، فإن المرابطة فى سبيل الله من الجهاد وحراسة الحدود والثغور من الجهاد فى سبيل الله ، وفى الحديث الشريف (عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله) .. رواه الترمذى .

هل هناك وجه للمقارنة بين جيش مصر وجيش التتار ؟

ان المفارقة ظاهرة حتى من تلك النبذ التى ساقها كتيب (الفريضة الغائبة) نقلاً عن فتاوى ابن تيمية . اذا كيف تقارن بين جيش مصر الذى له فى كل معسكر مسجد وامام يقيم بهم شعائر الاسلام ويصومون رمضان ويتلون القرآن ويقدمون أنفسهم فداء

لاسترداد الارض وتطهير العرض هاتفين فى كل موطن وموقع : الله اكبر وبين التتار الذين وصفهم ابن تيمية (مما سبق وصفه من عدم اتباع شعائر الاسلام وتاريخهم المظلم) ..

تاسعاً : أفكار سياسية منحرفة عن الإسلام وخارجة عنه :

إن مستقى هذا الكتيب ومورده فى جملته أفكار طائفة الخوارج ، وهم جماعة من اتباع على بن ابى طالب رضى الله عنه خرجوا عليه بعد قبوله التحكيم فى الحرب مع معاوية بن ابى سفيان فى شان الخلافة ، ثم انقسموا الى نحو عشرين فرقة ، كل واحدة منها تكفر الاخريات . وقد سموا بهذا الاسم اما – على حسب زعمهم وأوهامهم – لخروجهم فى سبيل الله ، واما للخروج على الامة والجماعة ، وهذا هو واقع التسمية لانهم فى جملة مذهبهم قد حكموا بالكفر على سيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه وعلى ابنيه الحسن والحسين ، سبطى الرسول (ص) وكذا ابن العباس وأبى أيوب الانصارى ، كما كفروا عائشة وعثمان وطلحة والزبير وكفروا كل من يفارق عليا ومعاوية بعد التحكيم وكفروا كل مسلم ارتكب ذنبا .

وهى فى ذات الوقت افكار استشارقية روجها المستشرقون وأتباعهم فى مصر وغيرها من بلاد المسلمين محرفين الكلام عن مواضعه ، مطلقين على بعض آيات القرآن عناوين لا تحملها ، ولا تصلح لها ، متأولين هذه الآيات بما يطابق أغراضهم وأهواءهم ابتغاء الفتنة فى الدين يثيرونها بين الناس حتى تلتبس عليهم الأمور ، فهم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك ، إنى أخاف الله رب العالمين .

فهم الآن يذيعون هذه الافكار التى انطمست ولم تبق الا فى بطون الكتب يقراها الدارسون لتاريخ الفرق ، ولا ينبغى أن يطلق على هؤلاء الذين اتخذوا هذا الكتيب منهجاً وصف الجماعة الاسلامية او المتطرفين فى الدين أو المتعصبين له لأن الدين لا ينحرف وانما ينحرف عنه ، ومن تطرف فى الدين فقد انحرف عنه .

عاشراً : هل الجهاد فريضة غائبة :

إن الجهاد ماض الى يوم الدين . والجهاد قد يكون قتالاً ، وقد يكون مجاهدة النفس والشيطان ، واذا أمعنا النظر البصير فى آيات القرآن الكريم .وأحاديث الرسول (ص) فى شأن الجهاد بالقتال ، نجد أوامرهما فى هذا موجهة إلى قتال الكفار الذين تربصوا بالإسلام ونبى الإسلام وأرادوا إطفاء نور دعوته والقضاء عليه ، ولم يكن قتالاً لنشر هذه الدعوة واكراه الناس على الدخول فيها قسراً وجبراً ، كما سلف ، ولذلك لا نجد فى القرآن ولا فى السنة الأمر بالقتال موجهاً ضد المسلمين أو ضد المواطنين من غير المسلمين ، إذ قد سمى الإسلام هؤلاء أهل الذمة ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا من حقوق وواجبات ، وأمر المسلمين بترك أهل الكتاب وما يدينون فيما يخص العقيدة والعبادة ، فإذا حدث ما يستدعى القتال دفاعاً عن الدين والبلاد فذلك ما يحرص عليه الاسلام ويدعو له ، ويقوم به الجيش الذى استعد وأُعد وأنيطت به هذه المهام . وهذا هو الجهاد قتالا . ويكون الجهاد بمجاهدة النفس والشيطان ، وهذا نوع الجهاد المستمر الذى ينبغى على كل إنسان ، وعلى المسلم بوجه الخصوص أن يجاهد نفسه حتى يصلح من أمرها وتنطبع على الخير والبر والأمانة والوفاء بالعهد ومغالبة الشيطان والشر سعياً إلى طاعة الله ومرضاته وأداء فرائضه والانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه ، ولا يكون"الجهاد بتكفير المسلمين أو بالخروج عن الجماعة والنظام الذى ارتضته فى نطاق أحكام الإسلام ، ولا بتأويل آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) إلى ما تحتمله الفاظها وتحميل معانٍ لا تحتويها معانيها وإلا كان تحريفا للكلام عن مواضعه وهو ما نهى الله عنه . ولا يكون الجهاد بقتل النفس التى حرم الله قتلها لأن له نطاقاً حدده الله . وأما الجهاد فى مواضعه فهو ماض إلى يوم القيامة: جهاد بالقتال اذا لزم الامر دفاعا عن دين الله وعن بلاد المسلمين ، وعن النفس وعن المال وعن العرض ، وجهاد النفس حتى تكون فى طاعة الله ومجاهدة الشيطان ، فليس الجهاد فريضة غائبة ولكنه فريضة ماضية إلى يوم القيامة فى حدود أوامر الله .

٤- مضمون الخطاب الجهادى .. رؤية نقدية :

إن المطلع على ما عرضنا له من مضمون للخطاب الاسلامى من قبل الجماعة الاسلامية والجهاد كما عرضنا له ، يستطيع أن يقف على نتيجة مؤادها ان الاسلام يعد منهجاً للحياة ، وهو الحل الشامل لكل أزمة مجتمعية ، ناهيك عن أنه يبعث الأمة الاسلامية من جديد ، وما عدا ذلك من افكار وأيديولوجات وتنظيمات حاكمة تعد دائما ومن وجهة نظر الميثاق كافرة أو جاهلية . ونلاحظ ان هذا الخطاب جاء فى مرحلة اتضحت فيها معالم التبعية والتخلف الإسلامى ، ويعد هذا الخطاب محاولة لتجييش وتعبئة القوى الإسلامية ضد الأنظمة الحاكمة المحلية "الكافرة" من جانب ، وضد القوى العالمية "العلمانية" من جانب آخر . وتعد الجماعة الإسلامية مشروعا إسلاميا بديلا أو مقابلا لمشروع الدولة ، ويسعى إلى إزالته ، والإحلال محله ، بالوسائل العنيفة متخذا الجهاد وسيلته لذلك ، إن أعضاء الجماعة الإسلامية وفق افكارهم نجدهم يديرون حوارا عنيفا مع النظام الحاكم لتحقيق مهمة ضرورية ألا وهى الجهاد من أجل إزالة الفساد ورفض الجاهلية [٢٧] . إن إعادة إنتاج التفاعلات الاجتماعية داخل التكوين الاجتماعى الاقتصادى المصرى طرحته الجماعة الإسلامية كنتاج تنظيمى وعقلى له رؤيته وموقعه الخاص من الواقع القائم ، الأمر الذى يجعلنا نذهب إلى أنه يدخل فيما يسمى بالاصلاحات الثقافية والأخلاقية ، أو هى بالأحرى رؤية جزئية للعالم من خلال جمود عقائدى وأخلاقى [٢٨] ، كما نلاحظ فى هذا الخطاب بعض النقاط الخاصة بمنطقة أسيوط منها :

١. تطابق الخطاب الإسلامى للجماعة الإسلامية مع الخطاب الدينى السائد فى منطقة أسيوط ولدى العامة ، وهو الخطاب السائد فى المساجد والجدل الدينى بين العامة، مما سَّهل للجماعة الإسلامية سرعة الانتشار فى هذه المنطقة ، فهى تتكلم لغة مشتركة فى مكان عام لجميع المسلمين .

٢. السهولة فى عرض الأفكار وعدم التعقيد فى المصطلحات التى لا يعرفها العامة والتى ينفرون منها بطبيعة الحال مثل العلمانية والاشتراكية ، وغير ذلك من المصطلحات السياسية التقليدية ، ويعود ذلك إلى نسبة الأمية المرتفعة فى أسيوط

.. والجهل السياسى فى المنطقة .. ولقد وضع الخطاب السياسى للجماعة الإسلامية مفاهيمهم الإسلامية ، والتى يعرفها الناس فى مقابل المصطلحات السياسية الغربية مماجعل خطابهم مفهوماً أكثر للعامة .

٣. إن هذا الخطاب يلقى وسط بيئة اجتماعية مهيئة للتقبل ، فهى متخلفة تنموياً ، ومحبطة تقليدياً وطاردة سكانياً . أضف إلى ذلك أنها معقل - منذ عقود خلت - للجماعتين الدينية المسيحية والإسلامية على السواء ، ابتداء من الإخوان المسلمين وحملات التبشير المسيحية التى ضربت أطنابها بكل مللها ونحلها فى أسيوط فى مواجهة الكنيسة الأرثوذكسية المصرية .

٤. وقد جعل ذلك تلك المحافظة فى قلب الصعيد مركزاً للصراع (الطائفى) الاجتماعى الممتد الذى اتخذ أشكالاً ووسائل متعددة ، إما فى مواجهة القوى الاجتماعية لبعضها البعض أو فى مواجهتها للنظام الحاكم من خلال المنظومة التقليدية الثقافية الراسخة التى تغذيها وتحقق قيم العدل التقليدى فيها عادة الثأر والمناخ والموقع الجيوبولتيكى المتميز بين المحافظات .

٥. الشعور العام لدى الأغلبية الإسلامية فى أسيوط خاصة ومصر عامة بضرورة تحدى الاستضعاف الهيكلى تجاه الغرب وأمريكا فى ظل النظام الدولى الجديد . وفى ظل علاقة الحكومة المصرية الخاصة بالولايات المتحدة (الجدل الدولى والمحلى) وفى ظل وجود أقلية مسيحية غنية فى أسيوط (ولها تركيز معين يصل فى أسيوط وحدها إلى حوالى ٤٠٪ على الاقل مع صعود اجتماعى فنوى متميز) ، ومع سعى النظام السياسى إلى الحفاظ على السلام الاجتماعى بين عنصرى الأمة وبروز حالات شاذة من قبل بعض العناصر المسيحية المتطرفة وغير المسئولة [٢٩] أحياناً فى بيئة تقليدية محافظة منذ قرون ، كان البعض فى أسيوط مستعداً لتقبل الخطاب الدينى للجماعة الإسلامية : جماهير ونخبة ، وذلك لإذكاء المواجهة فى السبعينيات لأغراض سياسية انتهازية قصيرة الأجل ، وفى الثمانينيات تحول القبول إلى صمت ، ثم انفجر فى التسعينيات فى شكل صراع اجتماعى ممتد وعنيف قابل للتسوية الآنية ، ولكنه غير قابل للحل النهائى ما لم يعاد النظر فى

المشكلة من جميع جوانبها . ولست فى حاجة إلى القول بأن الخطاب الدينى للجماعة الإسلامية إن هو إلا صياغة جديدة لحركة رفض اجتماعية من منظور عقيدى ، كان من الممكن أن تأخذ أشكالاً أخرى ، ولكنها التزمت بالإطار الاجتماعى – الثقافى لمجتمع الصعيد ومصر عامة وأسيوط خاصة فى شكله العنيف والغريب عن المجتمع .

المطلب الثانى

تحليل المضمون الكمى لخطاب الجمعات الإسلامية (تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية)

يستهدف هذا الجزء تحليل وثائق الجماعات الإسلامية تحليلاً علمياً كميا بقصد معرفة أبعاد الظاهرة ، وذلك بهدف الوصول إلى الجذور الفكرية (Rooted Causes) للعنف فىالفكر السياسى الدينى الكفاحى للجماعات الجهادية ، مع التركيز على تنظيم الجهاد والجماعة الإسلايمة فى فترة الثمانينيات والتسعينيات فى الصعيد ومصر عامة وفى أسيوط خاصة .

ويهتم تحليل المضمون الكمى بدرجة تردد أو تكرار الموضوعات والكلمات والرموز من خلال تكميم (Quantification) أبعاد وعناصر النص محل الدراسة بهدف فصل العناصر الجوهرية عن النص ، تنظيم العلاقات بين الموضوعات المطروحة فى النص بمنهاجية معينة ، تفسير بناء النص ، أى تفسير العلاقة بين عناصر البناء وعناصر الشكل ، ومن ثم يمكن معرفة أولويات المنظمة وأهمية كل عنصر من العناصر من خلال قياس أوزانها ، وعلى ذلك يمكن ترتيب أولويات المرسِل من خلال تحليل التركيز فى كل وثيقة على حدة . والفارق الجوهرى بين تحليل المضمون الكيفى والكمى : أن التحليل الكيفى يدرس ظهور أو اختفاء ظاهرة معينة منطقية أو من خلال "تبعيد الظاهرة" "Dimensionalization" أما التحليل الكمى فهو يهتم ويركز على درجة تردد أو تكرار الموضوعات والكلمات والرموز . هدف التحليل الكمى لمضمون الوثائق هو دراسة الروابط بين عناصر المضمون ، وقياس درجة تطور فكر وأسلوب المرسل ،

ومن ثم بناء الأحكام أواستخلاص نتائج مميزة تشبه القوانين انطلاقاً من المفاهيم السياسية التى تم التوصل إليها [٣٠] .

تحليل المضمون يبدأ بتوفير الوثائق / النصوص المطلوب تحليلها [٣١] ، ثم إجراء عملية تحليل العناصر Factor Analysis أو التبعيد أى إيجاد الأبعاد الملائمة للموضوع محل الدراسة ، ثم من خلال تكنيك أو وسائل معينة يتم "تكميم" هذه الأبعاد والعناصر والمكونات للوصول إلى تحقيق أهداف البحث ونتائجه . وذلك التكميم يستهدف وجود علاقات الارتباط بين تكرار كلمات وجمل معينة والأبعاد الفكرية التى ينقسم إليها أى نص عند تحليله "عناصرياً" . لتحديد الأهمية المعلقة من المرسل لهذا البعد أو ذاك ، من خلال كثرة التردد أو قياس قوة كلمات الجملة الواحدة .

ومن الواضح – مما سبق ذكره هنا – أنه رغم التحليل الكيفى السابق للتطور المنطقى للافكار التى تقوم عليها أيديولوجية جماعة الجهاد المستمدة من العقيدة الإسلامية – فإن التحليل الكمى لمضمون هذه الأفكار يستهدف الابتعاد كلية عن الأسلوب الانتقائى لسطور معينة فى أى نص ، وبالتالى يستبعد الحدس والتخمين والشرح على المتون ، أى يبتعد – ولو جزئياً – عن الانحياز الشخصى للباحث السياسى ، ويزيد من درجة موضوعية وحيادية العلم ، هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية ، يمد التحليل الكمى البحث والباحث بثروة غزيرة من المعلومات والحقائق المنسقة فى مجموعات وأبعاد وعناصر ومكونات لم تكن لتتوافر لولا أسلوب تحليل العناصر والتبعيد ، ومن ناحية ثالثة ، فإن تحليل المضمون الكمى يكون أكثر ملاءمة وإفادة عندما يكون المستهدف من التحليل ينتمى إلى نفس الحضارة والثقافة واللغة ، على عكس محاولة التعرف على أقوام آخرين حول نفس الموضوعات . ومن جهة رابعة ، فإن تحليل المضمون الكمى يبتعد بالباحث عن ردود الافعال الوقتية والعشوائية وعن الأفكار الشائعة العمومية عن ظاهرة معينة ، ويبتعد عن التصورات الشخصية المنحازة والمقلوبة سلفاً عن أشياء وأشخاص وظواهر معينة ، ويجعل الباحث مواجَهاً بالحقيقة التى غالباً ما تكون كفيلة بالكشف عن نفسها من خلاله .

١ – تجميع الوثائق (Documentation)

ورغم ندرة الوثائق حول ظاهرة العنف السياسى فى مصر فى السنوات العشرين الأخيرة ، وبالذات لأن الظاهرة تتنامى ويتعايش معها الناس يوما بيوم ، ليس فى مصر وحدها بل فى أرجاء العالم الإسلامى على امتداده ، رغم ذلك وبوسائل غير تقليدية ، أمكن الحصول على ست عشرة وثيقة خضعت كلها لأسلوب تحليل العناصر وتبعيد الظاهرة ، أى إيجاد الأبعاد الممكنة لها لدراسة المتغيرات الثابتة والمتحركة والعناصر والمكونات لكل منها . هذه الوثائق تتعدد بين كتب ، وكتيبات ، أدلة عمل ، بحوث أكاديمية ، بيانات صحفية ، أحاديث منشورة ، تحقيقات محاكم .. الخ ، وتختلف أيضا من ناحية مصدر الرسالة أو المرسِل ونوعية الجمهور المتلقى أو المستقبِل ، وهذه الوثائق هى كما يلى :

١. منهج جماعة الجهادالإسلامى (مخطوط وثائقى غير منشور) إعداد عبود الزمر ، (أمير جماعة الجهاد) القاهرة ، سجن ليمان طره ١٩٨٦ ، ٢٧ صفحة من القطع العادى .

٢. الفريضة الغائبة ، إعداد محمد عبد السلام فرج (الأمين العام بتنظيم الجهاد ١٩٧٩ – ١٩٨٢) فى ٢٣ صفحة من القطع العادى .

٣. موقف الحركة الإسلامية من العمل الحزبى فى مصر – صدرت فى أوائل الثمانينيات ، إعداد الجماعة الإسلامية "الجهادية" فى مصر (فرع الجهاد بصعيد مصر) – ١٥ صفحة قطع عادى .

٤. ميثاق العمل الإسلامى – ١٩٨٤ ، الجماعة الإسلامية "الجهادية" (فرع الجهاد بصعيد مصر) ، ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير بخط اليد (أعده وألقاه : ناجح ابراهيم وعاصم عبد الماجد وعصام الدين دربالة وآخرون).

٥. أمريكا ومصر والحركة الإسلامية ، إعداد تنظيم الجهاد – فرع الهرم : سالم الرحال – أوائل الثمانينيات ، ١٤ صفحة قطع عادى [٣٢] .

٦. إله مع الله ؟ : إعلان الحرب على مجلس الشعب من إعداد الجماعة الإسلامية ، ١٩٨٧ ، ١٢ صفحة قطع عادى (وصلت للمؤلف بطريق البريد) .

٧. الإحياء الإسلامى من منظور جماعة الجهاد الإسلامى ، بقلم كمال السعيد حبيب (أبى عبد الرحمن) ، ١٩٨٦ ، (أمير تنظيم الجهاد ٠ فرع الهرم – ثم انضم للتنظيم الأم "الجهاد" عام ١٩٨٠) ، ٤٥ صفحة قطع عادى .

٨. حتمية المواجهة ، "إعداد الجماعة الإسلامية (فرع وجه قبلى لتنظيم الجهاد) ، ١٩٨٧، ٢٩ صفحة قطع عادى .

٩. محاكمة النظام السياسى المصرى – إعداد الجماعة الإسلامية ، ١٩٨٦ ، ١١ صفحة بالقطع العادى .

١٠.حول الناصرية والإسلام من منظور جماعة الجهاد الإسلامى ، بقلم أسامة حميد ، ١٩٨٧ ، عدد ٦ صفحات قطع عادى .

١١.عمر عبد الرحمن مفتى الجهاد ، كتاب : أصناف الحكام وأحكامهم (ملخص) ، ١٩٨٢ ، ليمان طره – القاهرة ، ٣ صفحات قطع عادى .

١٢.فلسفة المواجهة ، جماعة الجهاد ،بقلم أبى الفداء ، ١٩٨٧ ، ٢٣ صفحة من القطع الصغير [٣٣] .

١٣.بيان الجماعة الإسلامية ، جريدة النور ، القاهرة ، فى ٢٢ مايو ١٩٩٤ .

١٤.حديث أحمد فرغلى ، أمير الجماعة الاسلامية بالمنيا ، إلى جريدة مصر الفتاة فى ١١ مايو ١٩٩٢ .

١٥.حديث المهندس علاء رجب ، مسئول الجماعة الإسلامية فى أسيوط ، إلى جريدة الشعب فى ١٩ مايو ١٩٩٢ .

١٦.حديث مسئول الجماعة بمسجد الرحمن بأسيوط ، جريدة المصور ، فى ٢٠ نوفمبر ١٩٩٢ .

تحليل العناصر (Factor Analysis) :

وبناء على ما سبق من وثائق / نصوص ، جرى تحليل العناصر أولاً ، ثم اختيار أربعة منها ظهرت فى أزمات متقاربة ١٩٨٠ - ١٩٨٧ شكلت أدلة عمل لجماعات الجهاد الإسلامية فى مصر عامة وفى أسيوط خاصة ، وهى : الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج ، ميثاق العمل الاسلامى بقادة الجماعة الإسلامية بالصعيد ، منهج جماعة الجهاد الإسلامى لعبود الزمر ، أمير جماعة الجهاد ، وحتمية المواجهة للجماعة الإسلامية ، والوثيقتان الأخيرتان خضعتا لتركيز وفرز هائل لعدة أسباب : أنهما تعبران عن فكر الجهاد والجماعة الإسلامية بشكل شمولى ، أنهما صدرتا فى ميعاد واحد تقريبا ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، وتتساويان فى عدد الصفحات ، أنهما تعبير عن أيديولوجية واحدة - مستمدة من عقيدة واحدة - تتفق فى الأهداف وتختلف فى نوعية الخطاب ومستوى المتلقى ، والمرسل ، ومستوى الحركة والقيادة ، إن العدو هنا مشترك : النظام السياسى ، النصارى ، الفئة الممتنعة عن تنفيذ تعاليم الإسلام ، إسرائيل والولايات المتحدة والغرب ، الخصوم الفكريون ، جميع الجماعات الجهادية المختلفة فى الرأى مع تنظيم الجهاد وهم :

جماعة المسلمين (التفكير والهجرة) ، جماعة صالح سرية (حزب التحرير الإسلامى)، الإخوان ، السلفيون ، الصوفيون ، التوقف والتبيين .. الخ ، وتبرر مواقفهم - عذراً - بالجهل ، ويمكن تحليل الخطاب الجهادى فى مصر إلى مجموعة أبعاد ، كل مجموعة تحتوى على عناصر ومكونات على النحو التالى (جذور الفكر الجهادى) :

المجموعة الأولى :

الإسلام دين ثابت وغلاب عبر الزمن : وهو كل متكامل لا يتجزأ كالأوانى المستطرقة :

أ- غلبة الدين الإسلامى شكلاً ومضموناً (الجبر الموضوعى) .

ب- صراع الإسلام مع جميع العقائد الدخيلة كاليهودية والنصرانية والهندوسية والماسونية .. الخ مآلة إلى النصر .

ج- الإسلام فى حالة حرب ضد الغربنة "عموماً" والأمركة "خصوصاً"

المجموعة الثانية :

الإحياء الإسلامى يعنى الضمير الثورى ويعنى تغيير السلوك :

أ- تطبيق الشريعة الإسلامية على المجتمع .

ب- التمسك بالمظهر الإسلامى ارتباطا بالجهر : اللحى ، القمصان ، الأحوال الشخصية، العلاقات الشخصية ، التعامل مع وسائل الإعلام فى الجاهلية الثانية والفن فى مختلف أشكاله .

المجموعة الثالثة : إقامة الحكم الإسلامى (الخلافة) :

أ- تغيير النظم القائمة بالقوة وبالذات فى مصر .

ب- إقامة الحكم على نهج الخلافة .

ج- الانقلابية الحركية (الجهادية) هى الوسيلة المثلى .

د- ضد الفصائل غير الجهادية الأخرى .

المجموعة الرابعة : الطبيعية الخيرية على باقى الأمم (خير أمة أخرجت للناس) :

أ- الوحدة العضوية بين أعضاء الجماعة الإسلامية (المجتمع) .

ب- الاستجابة للمنهج الإسلامى على أساس ربانى (دينى) .

ج- التمييز عن الآخرين يعنى الخيرية بالنشاط والحركة .

د- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صمام الأمان ونموذج حضارى متقدم بغض النظر عن حقوق المواطنة والحريات الشخصية للآخرين فى المجتمع .

المجموعة الخامسة : تكريم الإنسان (المسلم) أساس التصور الإسلامى حقوق الانسان :

أ- التكليف بعمل الخير ومنع الشر من خلال إعمال العقل .

ب- المسئولية تعنى التفاعل مع المجتمع (منع المنكر) .

ج- احترام حقوق الإنسان المكرمة .

هذه المجموعات الخمس ستكون هى محور تحليل المضمون الكمى للخطاب السياسى الدينى لجماعات الجهاد الإسلامى فى مصر ، وذلك بهدف معرفة أولويات هذه الجماعات ورؤى مواجهتها للمجتمع المدنى فى مصر على أساس من التغلغل فى المفاهيم العقيدية (Realities) لهذه الجماعات .

٣- إجراءات البحث ومحاذيره :

يتم إجراء العناصر على أربع وثائق / نصوص لاكتشاف أبعاد جذور الظاهرة الجهادية خلال الفترة موضوع الدراسة ومدى تركيز وتوزيع اهتمام جماعات الجهاد على تصورات ورؤى معينة قادت إلى العنف فى مواجهة النظام السياسى المصرى .

أ- وحدة التحليل الأساسية هى الكلمة والجملة :

الانتقال من موضوع إلى آخر يحدث عندما يتغير المعنى / المضمون ، الجملة المفيدة هى الوحدة الأساسية للقياس كمعنى متكامل ، شدة الكلمة بالقياس إلى الجملة المنطوقة توزن من خلال أدلة عمل يحتفظ بها الباحث .

ب- المواءمة :

ويقصد بها مدى تناسب كل جملة مكونة من كلمات مع موضوع العنصر المذكور داخل مجموعته . وقد أمكن تحديد مدى ملاءمة كل جملة للعنصر أو المكون المذكور ،

داخل كل مجموعة خمس مستويات للشدة تبدأ من حيث لا أهمية للجملة للموضوع االمذكور (غير مناسبة irrelevant ، إلى الحد الأقصى من الأهمية والشدة معاً .

ج- التحليل الإحصائى :

بعد إجراء هذه العملية المعقدة نسبياً يمكن تحويل المجاميع إلى شكل مفيد ومقروء للمطلع العادى . ولذلك يجب إجراء دراسة إحصائية لإبراز أولويات المجموعات الخمس المذكورة بعد فرز مكوناتها المتعددة فى الخطاب الجهادى وتحديد المدلول القيمى النسبى للتكميم اللفظى المذكور من خلال هذه الوثائق / النصوص .

وهناك ثلاثة عيوب تقلل من أهمية التحليل الكمى للمضمون ، والحال هكذا لابد من مراعاتها لضرورة تلافيها أثناء إجراء الدراسة ، وقد أمكن التغلب على كل منها من خلال المهارات التكتيكية المعينة والأساليب الإحصائية فى تقليل نسبة الخطأ فى الدراسات العلمية:

أ- الازدواجية ، حيث يمكن وضع مقولات معينة حسب التحليل فى أكثر من مجموعة متعلقة بنفس الظاهرة ، ولذلك لابد من تجنب هذا الفخ بقدر الإمكان لإيجاد نوع من المصداقية والاعتمادية على نتائج البحث .

ب- أوزان الجمل تختلف من مفهوم قيمى إلى آخر عند التصنيف الرقمى ، ولكن هذه الصعوبة تزداد وتكون لها دلالة وأثر على نتائج البحث بين أصحاب لغتين وحضارتين أوأكثر ، ولكن فى إطار ثقافى واحد ، نجد أنه من الصعوبة بمكان وجود هذا الخطأ المتكرر فى عدد من الدراسات العربية والغربية علىالسواء . رغم ذلك يظل هناك هامش من الخطأ فى مستوى فهم المجتمع المدنى فى تقدير أوزان المنطوقات اللفظية (Verbal Statements) لجماعات الجهاد . ويأتى هذا الاختلاف بسبب لجوء الأخيرة إلى مرجعية فقهية كما ورد فىالتحليل الكيفى ، ربما تكون غير مألوفة وإن كانت معروفة كجزء من الإطار الثقافى الحضارى العام - للمحللين السياسيين .

ج- التجمل ولبس الأقنعة : بمعنى تغيير العبارات لأغراض الدعاية بذكر غير المقصود أو ما يسمى بالسياسة الزائفة - (Make-Up Policy) . ويمكن التغلب على ذلك بتوسيع مساحة البحث وتعدد النصوص واتباع منهج الأسلوب المقارن فى إيجاد الحالة الدراسية المتميزة - Deviant Case Study وجعلها أساس المقارنة ، يضاف إلى ذلك استخدام أساليب إحصائية معينة ومقارنة لكشف هذا التصنع والخداع فى إطار لعبة توزيع الأدوار على المسرح السياسى ، وذلك ببناء معايير عبرالزمن (متغيرات بارومترية) تجعل هذا الأمر مكشوفاً وشاذا فى إطار البحث .

الخطاب الجهادى يتميز بعاملين أساسيين : الدعوة ، والإعلام ، الأول ينقل الحقائق إلى المؤمنين بالعقيدة الإسلامية الراسخة لترسيخها فى الاذهان ، والثانى يعنى الإخبار بالوقائع الجارية . أما الدعاية وهى فن تصميم الحقائق وتكتيل العواطف حول قضايا بعينها بقصد كسب المستقبِل فى صف الداعية فهو أمر يتصل عندها بمقتضيات الحركة السياسية ومبررات اللجوء إلى التقية . وهذه الأخيرة كانت أقل النصوص المرتكز عليها ، بينما جرى الاعتماد على النصوص / الوثائق المتعلقة بالدعوة قبل كل شئ ، لإيضاح حقائق ورؤى الخطاب الجهادى الحقيقى (realities) كتعبيرات متميزة عن أيديولوجية تختلف عن جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) أو صالح سرية (حزب التحريرالإسلامى) أو السلفين او الشوقيين .. الخ ، وكلها مستمدة من عقيدة واحدة هى العقيدة الإسلامية .

٤- نتائج البحث (results) :

فى هذا جرى تطبيق تحليل المضمون الكمى على وثيقتين أساسيتين : واحدة للجهاد هى "منهج جماعة الجهاد الإسلامى" من إعداد عبود الزمر (أمير الجماعة - سجن طره - ١٩٨٦) ، والأخرى للجماعة الإسلامية بوجه قبلى (صعيد مصر) فى العام ١٩٨٧ وارتكازا علىأسلوب تحليل العناصر سالفة الذكر على الوثائق الأربع ، فإنه يمكن القول بوجود عموميات خاصة متميزة (نتائج) يمكن استخلاصها من تحليل المضمون الكمى للخطاب الجهادى الإسلامى على النحو التالى :

١. تمثلت أولويات "الجهاد" فى خطابها – بالترتيب – فيما يلى : إبراز علو الأمة الإسلامية على باقى الأمم (الخيرية على الأمم الأخرى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ، إقامة الحكم الإسلامى على نهج الخلافة ، الإسلام دين غلاب على مر العصور (الجبرية الموضوعية) ، كرامة المسلم من خلال إعمال العقل ومسئولية التفاعل مع المجتمع ، تطبيق الشريعة الإسلامية .

هذا بينما جاءت أولويات الجماعة الإسلامية علىالنحو التالى : إقامة الحكم الإسلامى ، تطبيق الشريعة الإسلامية ، الإسلام دين غلاب على مر العصور (الجبرية الموضوعية) – الخيرية على باقى الأمم – تكريم الإنسان المسلم .

٢. إنه فى كل مجموعة اختلفت نسب التركيز والاهتمام بين كل من الجهاد والجماعة الإسلامية :

المجموعة الأولى : الإسلام دين غلاب (الجبرية الموضوعية) :

لدى جماعة الجهاد حصلت هذه المجموعة على الأولوية الثالثة تماماً مثل الجماعة الإسلامية ولكن اختلفت نسبة أهمية كل عنصر داخلى بها : ففيما أعطت الجهاد نسبا متساوية لغلبة الدين الإسلامى شكلا ومضمونا وتفوقه على العقائد الدخيلة ومواجهة الأمركة والتغريب وتفوقه شكلاً ومضموناً بالترتيب المذكور ، نجد أن الجماعة الاسلامية ركزت على غلبة الإسلام على العقائد الدخيلة ومواجهة الأمركة والتغريب وتفوقه شكلا ومضمونا بالترتيب المذكور .

المجموعة الثانية : تطبيق الشريعة الاسلامية :

احتلت الأولوية رقم (٥) للجهاد ورقم (٢) للجماعة الإسلامية فى توزيع الأهمية ، ففيما علقت الجهاد بقدر قليل على تغيير سلوك المجتمع من خلال الشريعة ، نجد أن الجماعة الإسلامية تركز بشكل عال جداً على هذا المفهوم . العنصر الثانى وهو : التمسك بالمظهر الإسلامى ، نجد أن كلتا الجماعتين لا تجعلانه أمرا محوريا ولا ثانويا فهو أمر مسلم به غير قابل للنقاش ! وقد كان ذلك مفاجأة للباحث .

المجموعة الثالثة : الخيرية على باقى الامم (خير أمة أخرجت للناس) :

تحتل الأولوية رقم (١) للجهاد ورقم (٤) للجماعة الاسلامية ، فالبنسة للجهاد جاء الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كقيمة تحدد إيجابية المسلم عن غيره على رأس قائمة الاهتمام ، ثم النهج فى الحياة على أساس دينى ، ثم وحدة أعضاء الجماعة من المسلمين ، ثم التمييز الخيرى على الآخرين .

أما الجماعة الإسلامية فقد جاء اهتمامها بالوحدة العضوية للمجتمع المسلم أولا ، يعقبه النهج على أساس دينى فى الحياة الدنيا ، ثم التمييز الخيرى على الآخرين ، ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

المجموعة الرابعة : إقامة الحكم الإسلامى :

تحتل الأولوية رقم (٢) للجهاد ورقم (١) للجماعة الاسلامية .

بالنسبة للجهاد احتل ولا أهتمام بتنظيم الحركة الجهادية الانقلابية رأس القائمة ، يتلوها إزالة النظم القائمة ، ثم إقامة الخلافة ، ثم فى أدنى القائمة الاهتمام بالفضائل الإسلامية الأخرى .

أما الجماعة الإسلامية فقد ركزت أولا على إزالة النظم القائمة وبالذات النظام المصرى ، يعقبه إقامة الخلافة الإسلامية ، ثم الاهتمام بتنظيم الحركة الجهادية الانقلابية ، ثم فى أدنى القائمة الاهتمام بمواجهة الفصائل الاخرى الإسلامية وغير الإسلامية .

المجموعة الخامسة : تكريم الإنسان : حقوقه وحاجاته ومصالحه :

احتلت الاهتمام رقم (٤) للجهاد ولا اهتمام من الجماعة الاسلامية ، بسبب حركيتها ومواجهتها للنظام السياسى ، وقد يعود ذلك فقط إلى صدور هذه الوثيقة الموضوعية فى منتصف الثمانينيات قبل المواجهة التى جرت مع النظام السياسى ابتداء من عام ١٩٨٧ . وفى معظم بيانات الحركة إلى الصحف فيما تلا هذا العام احتل تخليص

الاسرى وسوء معاملة المعتقلين وأسرهم كل اهتمام الجماعة الإسلامية فى منشوراتها ومظاهراتها .

بالنسبة للجهاد ، احتل تكليف المسلم بعمل الخير ومنع الشر من خلال إعمال العقل رأس قائمة الاهتمام ، يليه التفاعل المسئول مع المجتمع (منع المنكر) ، ثم احترام حقوق المسلم كما وردت فى الشريعة .

وفى الجدول المرفق والشكل المرسوم يمكن الاطلاع على بيان تحليل المضمون الكمى الوارد فى هذا الجزء من البحث .

وهناك عدة ملاحظات على ما ورد من نتائج فى التحليل الكمى لمضمون وثائق الخطاب الجهادى يمكن إدراجها فيما يلى :

اولاً : إن إقامة الشريعة الإسلامية وإقامة الحكم الإسلامى على نهج الخلافة احتل المرتبة العليا فى أولويات الخطاب الجهادى ، ولكن كل جماعة تناولته فى خصوصية معينة ، فالجهاد تبدأ بالفكر وتنتهى بالحركة الانقلابية بينما الجماعة الإسلامية تنتقل من الحركة إلى الإعلام والدعاية لفكر الجهاد فى تنسيق وارتباط فكرى وحركى معا ، هذا على مستوى الحركة . وعلى مستوى الفكر تحرص الجماعة الاسلامية على الاستدلال القرآنى والسنى ، فحوالى نصف الوثيقة تقريباً آيات وأحاديث نبوية ، بينما نجد ذلك قليلاً وعابراً فى وثيقة الجهاد مما يدل على عقيدية حركة الجهاد ، وحركية الجماعة الإسلامية . فالأولى تخاطب مجموع الأمة ونخبها المثقفة ، بينما تخاطب الجماعة الإسلامية قواعد الحركة المنظمة بالفعل على الساحة وحتى العناصر الجديدة المميزة بما لا يتعارض مع مخاطبة مجموع الأمة .

ثانياً : بينما تقوم دعوة الجهاد على الاستقطاب والتجنيد المبدئى تقوم دعوة الجماعة الإسلامية على الانضمام الحركى للمواجهة وتحديد الأصدقاء والأعداء . الأولى تقوم علىالدعوة ، بينما الثانية تقوم على الإخبار أو الإعلام مباشرة .

ثالثاً : يتضح من لغة الخطاب لدى الجهاد أنها دعوة عالمية لا تخص مصر وحدها ، بينما لغة خطاب الجماعة الإسلامية تعنى التركيز على مصر فقط وقضاياها المحلية .

رابعاً : واضح كما أسلفنا أن الجماعة الإسلامية لم تذكر حقوق الإنسان المسلم فى هذه الوثيقة ، لكن فى وثائق أخرى ، وربما يعود ذلك إلى أنها تأخذ وثائق الجهاد كمسلمات تنطلق منها وتبنى عليها حركتها باعتبارها المنظمة الأم الموكول إليها القيادة العقيدية والتنظيمية .

خامساً : استخدام الأسلوب الانقلابى المسلح ، أى المواجهة العنيفة المباشرة ، هو المبدأ الثابت لدى كلا التنظيمين (الأم والفرع) ، مع فارق بسيط ذكره عبود الزمر عام ١٩٨٠ وهو أن جماعة الجهاد تحتاج إلى السرية والانتظار بعض الوقت ريثما يتمكن التنظيم من إعداد وتعبئة قوته لهدف الاستيلاء على الحكم [٣٤] ، وهو ما عارضه محمد عبد السلام فرج عند اغتيال السادات ، ولم يكن لدى الزمر إلا أن يسحب اعتراضه . كذلك فهناك قضية محورية يدور حولها الخلاف ، هى إمارة الضرير والأسير والمقصود بالأول د. عبد الرحمن المحتجز الآن فى نيويورك على ذمة قضايا التفجير والمحكوم عليه الآن فى قضية التجمهر فى الفيوم مع نهاية الثمانينيات بسبع سنوات سجن ، أما الثانى فهو عبود الزمر القائد الحركى والأمير الفعلى لجماعة الجهاد . "ففى حين ترى جماعة الجهاد عدم جواز قبول أمير ضرير لحركة الجهاد ترى الجماعة الإسلامية جواز ذلك ، وتتخذ من الدكتور عمر عبد الرحمن أميرا لها" [٣٥] . وقد حسم الصراع بإعطاء د. عمر عبد الرحمن حق الفتوى الشرعية ، بينما أعطى لعبود الزمر إمارة الجهاد على المستوى الحركى والتنظيمى فى مصر ولا يزال الصراع مستمراً , كلا التنظيمين يعتبر اللجوء إلى السلاح هو الأساس للوصول إلى الحكم فى مصر وغيرها . وبينما وقع تنظيم الجهاد تحت الضربات المتلاحقة للأمن وتم تشتيته استمرت الجماعة الإسلامية بعنف وقوة بالذات فى أسيوط وفى الصعيد عموما . ويعكس ذلك صدام الجهاد مع رافد الاعتدال الضخم فى الحركة الإسلامية : الإخوان المسلمين ، فهم من ناحية يشاركون بفعالية فى الحركة السياسية ، ومن ناحية

ثانيـة هـم المفرخـة الحقيقيـة ومظلـة الجماعـات العنيفـة ، ومـن ناحيـة ثالثـة هـم ينتظرون نتائج العنف والمشاركة لتصب فـى رافدهـم الكبـير فتئـول إليهـم السـلطة فىالنهاية ، كثمرة وقعت من أعلى.

سادساً : يعتقد الباحث أن الاختلاف فى توزيع الأهمية (النسب المئوية) ربما يعود إلـى التنسيق المعتمد بين الجماعتين وإلـى توزيـع الأدوار الصحيحـة ، علـى أن تنظيـم الجهاد قد ضعف خـلال الثمانينيـات والتسـعينيات واندمـج فـى الجماعـة الإسـلامية الجهاديـة ، خصوصـا والجماعتـان لهمـا قيـادة واحـدة وأهداف مشـتركة وغايـات واحدة وتركيب تنظيمى واحد والاختلافات بينهما طفيفة فى الشكل والمضمون .

م	العنصر	التكرار		النسبة المئوية		ترتيب الأولويات	
		الجهاد	الجماعة	الجهاد	الجماعة	الجهاد	الجماعة
١	الإسلام دين ثابت / الجمود	٦٥	٩٢	١٢,٩	١٠,٨	٣	٣
	الموضوعى	٢٣	١٠	--	--		
	أ- غلبة الدين الاسلامى	٢١	٦٧	--	--		
	ب- ضد العقائد الدخيلة	٢٢	٢٠	--	--		
	ج- ضد الأمركة والتغريب						
٢	تطبيق الشريعة الإسلامية :	١٢	١٦٤	٢,٣	١٩,٢	٥	٢
	أ- تغيير سلوك المجتمع بالشريعة	١٢	١٦٤	--	--		
	ب- التمسك بالمظهر الإسلامى	--	--	--	--		
٣	خير أمة للناس (الخيرية على الأمم)	١٩٥	١٦٥	٣٨,٩	٧,٦	١	٤
	أ- الوحدة العضوية للجماعة	٤٩	٣٢	--	--		
	ب- المنهج على أساس دينى	٥١	٢٣	--	--		
	ج- التميز الخيرى على الآخرين	٢٢	٨	--	--		
	د- الأمر بالمعروف والنهى عن	٧٣	٢	--	--		
	المنكر						
٤	إقامة الحكم الإسلامى	١٨١	٥٣٢	٣٦,٩	٦٢,٤	٢	٠
	أ- الخلافة	٢١	١٥٩				
	ب- ضد نظم الحكم القائمة	٥٥	١٨٧				
	ج- الحركة الجهادية الانقلابية	٩٤	١٢١				
	د- ضد الفصائل الأخرى الإسلامية	١١	٦٥				
٥	تكريم الإنسان : حقوقه وحاجاته :	٤٨	صفر	٩,٧	--	٤	٥
	أ- تكليف بالخير ومنع الشر (إعمال	٢٢	صفر	--	--		
	العقل)	١٥	صفر	--	--		
	ب- التفاعل المسئول مع المجتمع	١١	صفر	--	--		
	(منع المنكر)						
	ج- احترام حقوق المسلم						
	جملة	٥٠١	٨٥٣	١٠٠	١٠٠	٥	٥

الهوامش

١. تنتمى مدرسة تحليل المضمون فى الأصل إلى ابن خلدون فى مقدمته ، وقد استقاها من فكر أفلاطون الفلسفى ، ويعترف علماء السياسة الغربيون فى تحليل المضمون بفضل العلامة العربى - المسلم عبد الرحمن بن خلدون الذى ظهر فى القرن الثامن للهجرة وقت سقوط الحضارة العربية الإسلامية ، فى البدء بمدرسة تحليل المضمون . راجع لمزيد من التفاصيل د. حسن بكر : مناهج وطرق البحث فى العلوم السياسية ، كلية التجارة ، جامعة أسيوط ، ١٩٩٢ .

٢. نعمة الله جنينة ، تنظيم الجهاد : البديل الإسلامى فى مصر ، كتاب الحرية رقم (١٧) ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٨ ، ص ١٥٦ .

٣. ينظر " الجهاد إلى المسيحيين فى مصر كعقبة فى طريق الاسلام ، وهو ما أدى إلى الهجوم على محلات المسيحيين فى أسيوط ونجع حمادى والقاهرة لدعم تمويل التنظيم .

انظر : نعمة الله جنينة : مرجع سابق من ص٩٢ ، ٩٧ وفى بيان الجماعة الإسلامية بالقاهرة هناك تحديد واضح للعدو بأنه الأمن والنصارى "باعتبارهما البادئ والباغى وأن الجماعة الاسلامية تريد دفاعا عن النفس أو قصاصا للأعراض والحرمات .

راجع : بيان من الجماعة الإسلامية بالقاهرة فى : النور ، ٢٢ مايو ١٩٩٢.

٤. كمال السعيد حبيب ، خريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ١٩٧٩، أصبح قائداً للمجموعة الثالثة من تنظيم الجهاد بعد طرد سالم الرحال الاردنى الجنسية من مصر ، وانضم لتنظيم الجهاد (عبد السلام فرج) عام ١٩٨٠ ويقضى الآن عقوبة تشكيل تنظيم الجهاد عشر سنوات فى سجن طره بالقاهرة . راجع فى ذلك د. رفعت سيد أحمد : النبى المسلح "الثائرون" ج٢ ، ص ١٩٩ ، هالة مصطفى : الإسلام السياسى فى مصر ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الاهرام ، القاهرة ، ص ١٧٩ .

٥. ناجح إبراهيم وآخرون / ميثاق العمل الإسلامى ، أسيوط ، ١٩٨٤ ، ص ١،٨ . الذين ألقوا هذا الميثاق (مطبوع بالحجم المكبر على جدران إحدى العمارات بميدان محطة أسيوط) هم : ناجح إبراهيم ، عاصم عبد الماجد ، عصام الدين ذربالة .. وآخرون ، وهم قادة الجماعة الإسلامية التابعة لتنظيم الجهاد بالوجه القبلى ، وبعضهم يقضى عقوبات بالسجن مدى الحياة فى قضية مقتل السادات وتنظيم الجهاد واحتلال مديرية أمن أسيوط ، يقع الميثاق فى حوالى ٢٥٠ صفحة بالقطع الكبير وهو مكتوب بخط اليد للتوزيع سراً على أعضاء الجهاد . راجع صفحات منه فى : د. رفعت سيد أحمد ، النبى المسلح ، ج١ ، ص ١٦٥ .

٦. سورة الزخرف ، الاية ٦٨ - ٧٠ .

٧. ميثاق العمل الإسلامى ص ١٨ .

٨. ميثاق العمل الإسلامى ص ١٩ .

٩. ميثاق العمل الإسلامى ص ١٩ .

١٠. سورة يونس ، الآية ٣٢.

١١. سورة الأنعام ، الآية ص ١٥٣ .

١٢. الميثاق ص ٢٥ - ٢٦ .

١٣. سورة الكهف الآية ١١٠.

١٤. سورة النساء ، الاية ٥٩ .

١٥. ميثاق العمل الإسلامى : ص م ٦١ - ٦٤ .

١٦. ميثاق العمل الإسلامى : ص ٦٦ - ٧١ .

١٧. سورة الشورى ، الآية ١٣.

١٨. الميثاق ، ص ٧٩ ، ٧٥ .

١٩. الميثاق ، ص ١٠٠ .

٢٠. الميثاق ، ص ١٠٨.

٢١. الميثاق ، ص ١٤١ - ١٥٩ .

٢٢. ميثاق العمل الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧ - ٢٥٤ .

(*) استقى هذا الجزء من خلال قراءة ميثاق العمل الإسلامى ، بالإضافة إلى كتاب محمد إبراهيم مبروك "مواجهة المواجهة" ، دار ثابت ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

٢٣. سورة القلم ، الآية ٣٥ - ٣٦ .

٢٤. سورة الزمر ، الآية ٩ .

٢٥. سورة السجدة ، الآية ١٨.

٢٦. مرجع سابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(*) عندما نشر تقرير المفتى فى الصحف المصرية للرد على كتاب الفريضة الغائبة فى بداية الثمانينيات ، لم ينشر الكتاب معه . فكان الرد من جانب واحد فى غياب الوثيقة الأصلية للكتاب . راجع نص الكتاب تقرير المفتى فى : نعمة الله جنينة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ - ٣١١ .

(*) صدر تقرير المفتى ونشر فى بداية الثمانينيات كرد على كتاب الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج أمير تنظيم الجهاد (١٩٧٩ - ١٩٨٢) .

٢٧. شحاته صيام ، العنف والخطاب الدينى فى مصر ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤ ص ٨٩ .

٢٨. شحاته صيام ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .

٢٩. المصور ، فى ١٩٩٢/١١/٢٠.

٣٠. د. حسن بكر ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٣ .

٣١. كان من أصعب الأمور فى هذا البحث الحصول على وثائق ، أولاً : لأن تداولها أو نشرها فى كتاب محظور أمنيا ، ثانياً ، عدم وجود اتصال مباشر أو شخصى يضمن الحصول على هذه الوثائق من أصحابها ، ثالثاً : وحتى لو ضمن الحصول على الوثائق فلا يمكن الاعتماد على دقتها أو دقة مصادر الحصول عليها أو على درجة اعتمادية هذه الوثائق للبحث بشكل مناسب وملائم وموثوق فيه . وقد أمكن الحصول على هذه الوثائق الأولية بطرق غير تقليدية أو من خلال المسح الشامل للصحف والمجلات المصرية .

٣٢. معظم هذه الوثائق منشورة وممنوعة من دخول مصر فى : د. رفعت سيد أحمد النبى المسلح (١) الرافضون ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، ١٩٩١ . (الوثائق من ١ - ٥) .

٣٣. د. رفعت سيد أحمد ، النبى المسلح (٢) الثائرون ، المرجع السابق ، (الوثائق ٧ - ١٢) .

٣٤. محمد حسنين هيكل ، خريف الغضب ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٥١٠ - ٥١١ .

٣٥. هالة مصطفى ، مرجع سابق ص ١٦٨ .